الأَغَرُّ

في بيان ما ينفع وما يضر

بقلم

الشيخ/ خميس جابر صقر

مدير عام شؤون القرآن الكريم بالأزهر الشريف

وعضو لجنة مراجعة المصاحف (سابقًا)

بيانات الإصدار

عنوان الإصدار: الأغر في بيان ما ينفع وما يضر

اسم المؤلف: الشيخ/ خميس جابر صقر.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٦/٣٦٨٥

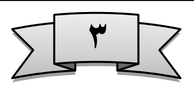
بسم الله الرحمن الرحيم

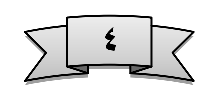
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

صدق الله العظيم

[فصلت:(٣٣)]

(الفهـــرس)





بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابوَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُوَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً * وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُوَلَداً ".

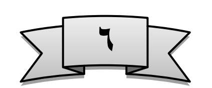
[الكهف: ١ ـ ٤].

الحمد لله فاطر السموات والأرض.. جامع الناس ليوم الحساب فى ساحة العرض.. والصلاة والسلام علي خير خلقه سيدنا محمد ما دامت السموات والأرض.. وبعد.

فمن أجلِّ الأعمال التي يراد بها وجه الله تعالي ما كان خالصاً لله وجالبا لما ينفع الإنسان بتحقيق دوافع الخير لديه.. وحافظاً له بدفع دوافع الشر عنه "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءًوَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ".

والإنسان كيان تعتريه حالات وتغيرات تؤثر في فضائه النفسي والخلقي بل وربما العقائدي.. وكثيرٌ هؤلاء الذين تأثروا بالشهوات والنزوات والثروات فرجعوا ـ القهقري ـ عن كثير مما يجب أن يتحلى به أهل الفضل.. وعبثاً يحاول المصلحون والعقلاء إعادة الأمور إلي نصابها ووضع النقاط علي حروفها ولكن؟

فالمعروف أن الدعوة إلي الله تعالي تقوم علي دعائم وثوابت وتعرض لقضايا الأمة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقاعدتي الترغيب والترهيب وذلك ببيان ما ينفع وما يضرُّ.. وما يُثَابُ عليه الإنسان وما يُعاقَبُ عليه

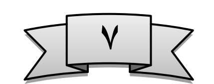


بشكل يوقظ همته وغفلته ويحفزه علي فعل شئ مَّا لإصلاح ما فسد وإكمال ما نقص والتذكير بما نُسى تحقيقاً لقول الله تعالي " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ " وتصديقاً لقول الرسول ﷺ " البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في صدرك وخفت أن يطَّلع عليه أحد ".

وهذا الكتاب يحتوي علي دعائم قرآنية مُدَعَّمَةٍ بالأحاديث النبوية والشعر المؤثر تُذَكرَّ الغافل وتوقظ الناعس وتسدِّدُ الخطي من خلال عرض سهل يحقق المطالب ويهدِّئ من الرَّوْعِ ويُفيق من الثَّملَ.. فعُمْرُ الإنسان مجرَّد لحظة في عمر الزمن وصدق الله العظيم القائل " **قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَاوَلاَيَضُرُّنَاوَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَىوَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّالعَالَمِينَ** " [الأنعام: ٧١] هذا ونسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة.

المؤلف

خميس جابر صقر



أوَّلُ المعرفة

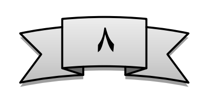
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَوَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُوَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً * وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُوَلَداً﴾.

[الكهف: ١ ـ ٤].

الحمد لله هو الثناء عليه جل وعلا بصفاته التي هي صفات الكمال، والحمد لنعمه الظاهرة والباطنة والتي من أجلِّها علي الإطلاق إنزال الكتاب العظيم علي رسوله صلى الله عليه وسلم.

فحمد نفسه وضمَّنه إرشاد العباد ليحمدوه علي إرسال الرسول، وإنزال الكتاب الكامل من جميع الوجوه، وذلك بنفي العوج عنه، وإثبات أنه مقيم مستقيم، فلا كذب فيه ولا عوج فلا يأمر إلا بأجلِّ الأخبار التي تملأ القلوب معرفة وإيماناً وعقلاً، وحقيق بكتاب موصوف بما ذكر، أن يحمد الله نفسه علي إنزاله، وأن يمتدح إلي عباده به، وينذر بهذا القرآن عقابه علي من خالف أمره ويشمل عقاب الدنيا والآخرة وهذا أيضاً من نعمه حيث خوف عباده وأنذرهم بما يضرهم وما يهلكهم، ولم يكن إنزال الكتاب للإنذار بالعقاب وحسب، ولكن ليبشر المؤمنين الذين كمل إيمانهم، فأوجب لهم عمل الصالحات ليس الواجب منها فقط وإنما المستحب وكل عمل اجتمع فيه الإخلاص والمتابعة، فكان جزاؤهم علي ذلك الثواب الذي رتبه علي الإيمان والعمل الصالح وأعظمه الفوز برضا الله ودخول الجنة ووصف الأجر ولو وجد فيه شئ لم يكن حسنه تاماً.

وهذا الأجر لا يزول عنهم، ولا يزولون عنه، بل نعيمهم متزايد كل وقت.



ومما أشير إليه فإن القرآن قد اشتمل علي كل عمل صالح، موصل لما تستبشر به النفوس، وتفرح به الأرواح والقلوب وتلك أول المعرفة.

﴿عن أبى هريرة . رضى الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عِدْلُ عشر رقاب وكُتِبَ له مائة حسنة ومُحِيَتْ عنه مائة سيئه " متفق عليه﴾.

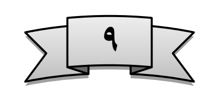
فــإن تكــن الــدنيا تُعَــدُّ نفيســةً
فـــإن ثـــواب الله أعلـــى وأنبـــل

وإن تكــن الأرزاق حظًّــا وقســمة
فقلَّـة حـرص المـرء فى الكسـب أجمـل

وإن تكـن الأمـوال للـترك جمعهـا
فمـا بـال مـتروك بـه الحـرُّ يبخـل

وإن تكـن الأبـدان للموت أنشئت
فقتـل امـرئٍ لله بالسـيف أفضـل

الإمام على " كرم الله وجهه ".



المسارعة إلى الخير

" وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْوَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُوَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِوَالضَّرَّاءِوَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَوَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِوَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ " [آل عمران ١٣٣: ١٣٤]

في مقدمه هذا التفسير، نجد أن العبد لابد له من مراعاة الأوامر والنواهي، وإذا كان عليه مراعاتها فمن اللازم معرفة حد هذا الأمر فتكون منه المسارعة إلي الخير لينال المرتبة التي وعده الله بها، والمسارعة المأمور بها في الآية هي المسارعة إلي التوبة وما في معناها من أسباب المغفرة.

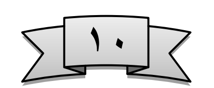
وعند ابتداء الآية بهذا اللفظ يجعل النفوس تشتاق إلي معرفة خصال التقوى التي يحصل بها الفلاح بالفوز بجنة عرضها كعرض السماوات والأرض فذكر الله عز وجل في الآيات أهم خصال المتقين وأعمالهم وأولها:

الإنفاق في السراء والضراء في عسرهم ويسرهم فإن أيسروا أكثرواالنفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً. وثانيها كما جاء في النص القرآني:

" **الْكَاظِمِينَ الغَيْظَ** " الذين إذا حصل لهم من غيرهم أذي، وامتلأت قلوبهم بما يوجب الانتقام قابلوه بالصبر والتحمل.

ويدخل ضمنه " الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ " عند الإساءة، والإحسان أعم من ذلك وأعظم؛ فمن قام بهذه الأمور فقد سارع إلي الخير وقام بحق الله وحق العباد؛ أما إن زلت أقدامهم إلي الجنايات والذنوب سارعوا إلي التوبة وطلب المغفرة، ولم يصروا علي الذنب فأقلعوا عنه وندموا عليه.

فما يكون جزاؤهم ؟؟



كـان جـزاؤهم مغفـرة تزيـل عـنهم كـل محـذور ارتكبـوه. وجنـات فيهـا مـن النعـيم المقـيم، ونعـم أجـر العـاملين، وكـان ذلـك جـزاء المسـارعة إلي التوبـة وإلي الخيرفـ: عنـد الصباح يحمد القوم السري، وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملاً موفوراً.

﴿عن أبى هريرة . رضى الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . " والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم " رواه مسلم..

أيهـــا الكاتـــب مـــا تكتـــب

فهـــــو مـــــردود عليـــــك

فاجعـــل المكتـــوب خـــيراً

فهـــــو مـــــردود إليـــــك

الإمام على.

المنـــح الإلهيـــة

" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواوَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌوَأَجْرٌ عَظِيمٌ "

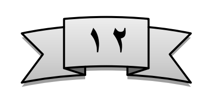
[المائدة ٩]

في بداية الأمر يتطرق إلي الذهن أن المغفرة المذكورة في الآية الكريمة وهذا الأجر العظيم لا يكون إلا للذين عملوا الصالحات ولم يخطئوا يوماً، وإنما الأمر هنا له معني أعظم، فإن الله عز وجل تفضل علينا ومنحنا منحاً عظيمة ووعد بالمغفرة والأجر العظيم، وإنما المغفرة أيضاً لو تفكرنا مَلِيًّا لا تكون إلا للمسيء ولكنه قال: " وعملوا الصالحات " ولم يقل: " وعملوا السيئات ".

فإنما يستوضح الأمر بأن كل مخلوق لا يخلو من سيئة كبيرة أو صغيرة، حتى وإن كان ممن يعمل الصالحات، فالمعني أن من آمن وعمل الصالحات غفرت له سيئات، وهذه منح الله تبارك وتعالى علي خلقه ف: " إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ".

وأرشدنا جل وعلا إلي طرق ننال بها مغفرته عند حدوث الذنب وهو: الاستغفار بما ورد في سنة رسوله الكريم.

وهنا تتجلى رحمة الخالق بعباده فلم يتركهم وذنوبهم حتى يلقون عقاباً أليماً يوم يعرضون عليه، وإنما منحهم الفرصة إلي التوبة والرجوع إلي طريقه، حتى وإن كانوا ممن يعملون الصالحات، فلم ينج أمرؤ من ارتكاب صغيرة أو كبيرة، ولِعِلْمِ الحق تبارك وتعالى بذلك في الأزل أسدل عليهم ستر التوبة والمغفرة، وتلك منح الخالق العظيم.



قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت.. خلقتنى وأنا عبدك.. وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت.. أعوذ بك من شرِّ ما صنعت.. أبوء لك بنعمتك عَلَىَّ وأبوء بذنبى.. فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** " متفق عليه.

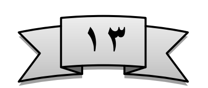
إذا هبَّت رياحك فاغتنمها

فعقبى كل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها

فما تدرى السكون متى يكون

الإمام على.



الأمل والرجاء

" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ " [الزمر: ٥٣]

يخبر تعالى عباده المسرفين المكثرين من الذنوب وهذا ما يدل عليه لفظ " أسرفوا " فكأنهم أكثروا من الذنوب علي الإنابة قبل ألا يمكنهم ذلك.

وتتجلى رحمة الخالق عز وجل بعباده حيث أنكر علي عباده القنوط من رحمته، فمهما كثرت الذنوب حتى أغرقت العبد فلا ييأس من رحمة الله ويلقى بنفسه إلي التهلكة حتى يقول: قد كثرت ذنوبي وتراكمت عيوبي ولا سبيل يمحوها، فيبقى مصراً علي العصيان.

ولكن الله عز وجل أشار إلينا بأسمائه الدالة علي كرمه وجوده بأنه يغفر الذنوب جميعاً الكبائر والصغائر وإنه هو الغفور الرحيم . فيبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار . ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل فدوماً على المرء أن يتحلى بالأمل في الخير وترقب حصوله وانتظاره ممن يملكه ويقدر علي تحقيقه.

والرجاء فيمن كان الخير كله بيديه، وكلاًّ من الأمل والرجاء تعبُّدُ لله عز وجل. ويتضح مما ذكر أن العبد إذا أذنب الذنب فلا ييأس من روح الله فإنه " لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون " وإن كان جل وعلا هو من يبسط يده إلينا بالمغفرة فالأحرى بالعبد أن يبادر بالتوبة والرجوع ف:

سهام الليل صائبة المرامي ... إذا وُترت بأوتار الخشوع
يصوبها إلى المرمي رجال ... يطيلون السجود مع الركوع
بألسنة تُهَمْهِمُ من دعاءٍ ... وأَجفان تفيض من الدموع

قال محمد بن عليٍّ:**اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك . واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمته عنك.. واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه.. واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.**

وما لبُّ اللبيب بغير عقل

بأغنى فى المعيشة من قتيل

رأيت الحظَّ يستر كل عيب

وهيهات الحظوظ من العقول

عز الدين الزنجانى.

حقيقــة اللطـف

" **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُوَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ** "[الشورى:١٩]

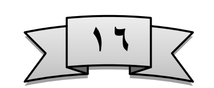
يخبر الله تعالى بواحدة من صفاته العلى بأنه " لطيف بعباده " وذلك ليعرفوه ويحبوه ويتعرضوا للطفه وكرمه واللطف من أوصافه تعالى ومعناه:

الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده وخاصة المؤمنين إلي ما فيه الخير لهم.

ومن ضروب لطفه بعبده المؤمن: أن هداه إلي الخير هداية لا تخطر بباله ويسَّر له الأسباب الداعية لذلك، وذلك من فطرته علي محبة الحق واتِّباعه، وبأمره للملائكة بتثبيت عباده المؤمنين وحثهم علي الخير.

ومن لطفه جل وعلا أن قوَّى عزائم المؤمنين ليحصل بذلك التنافس علي الخير، ومن لطفه تعالى أن استجاب من نبيه ومصطفاه دعاءه لأمته بمغفرة ذنوبها . فلو تركت الأمة وذنوبها لهلكت جميعاً . ولكن تتجلي عناية ربي جل وعلا ويتجلي لطفه بعباده فأرسل فيهم أشرف الخلق أجمعين ليكون عوناً لهم علي دينهم ودنياهم ولم يك هذا وحسب وإنما لطف بنا إذ جعله شافعاً لنا يوم التناد وأصاب إبليس وأعوانه بالحسرة والندامة.

فمن وهب عباده تلك النعم وأراد بهم الخير لدنياهم وأخراهم فجدير بالعباد حب اللطيف بهم.



عن العباس قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **إن عدوَّ الله إبليس لمَّا علم أن الله قد استجاب دعائى، وغفر لأمتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكنى ما رأيت من جزعه** ". رواه البيهقى

نـــذكِّر بالرقـــاع إذا نُســـينَا
ونكتـــب كلمـــا غفـــل الكـــرام

كـــذاك الأم لم ترضـــع فتاهـــا
مع الإشفاق لو سكت الغلام

عز الدين الزنجانى.

هيمنـــة القـادر

" نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ،وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ "

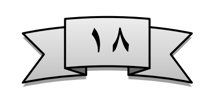
[الحجر: ٤٩: ٥٠]

افتتحت الآية بخبر جازم بقوله تعالى " **نَبِّئْ عِبَادِي** " وهذا الإخبار الجازم مؤيداً بالأدلة التي توضح كونه تعالى متصفاً بأنه " الغَفُورُ الرَّحِيمُ " فإنهم إن عرفوا كمال رحمته عز وجل ومغفرته لسعوا بالأسباب الموصلة إلي رحمته وابتعدوا عن الذنوب وتابوا منها لينالوا مغفرته.

ومع تلك الرحمة والمغفرة لا يتمادى العبد في الذنوب ويتمادى به رجاؤه في المغفرة مع الإصرار علي الذنب فنبأهم بـ " وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ" العذاب الذي لا يُقَدَّر قدره، ولا عذاب في الحقيقة إلا ذاك العذاب ومن هنا تتضح هيمنة القادر جل في علاه.

فإن وعد بالمغفرة فذاك من رحمته التي وسعت كل شئ وإن أنذر بالعذاب فذاك لقدرته، فليحذر العباد من عذابه وإن عرفوا أنه لا يعذب عذابه أحد " ولا يوثق وثاقه أحد " لابتعدوا عن كل سبب يوجب هذا العذاب والعقاب، فينبغي بالعبد أن يكون قلبه دائماً معلقاً بين الخوف والرجاء، فلا يتمادى بظنه بالمغفرة وينسى أن هناك عقاب.

ولينظر إلي ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه ليحدث له الرهبة والخوف والإقلاع عنها، ولينظر إلي رحمة ربه ومغفرته فيحدث له الرجاء والرغبة، وكل ذاك من هيمنة القادر العظيم.



عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: " **من قال استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غُفِرَ له وإن كان قد فَرَّ من الزحف** ". **رواه أبو داود**

تحكَّموا فاستطالوا فى تحكُّمهم

عمَّا قليل كأنَّ الأمر لم يكن

لو أَنصَفوا أُنصِفوا لكن بَغَوْا فبغى

عليهم الدهر بالأحزان والمحن

فأصبحوا ولسان الحال يُنشِدُهُم

هذا بذاك ولا عتب على الزمن

الإمام الشافعى.

عـودة الغائـب

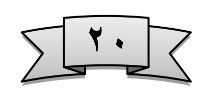
" وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ " [آل عمران: ١٣٥]

هذه الآية الكريمة تتحدث عن اعتذار المتقين لربهم من جناياتهم وذنوبهم ووصفت الآية تلك الحالة بأن الذين فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم وصدرت منهم أعمال سيئة كبيرة أو مادون ذلك في ديناهم بادروا إلي التوبة والاستغفار وذكروا ربهم لأنه مهما عظم الذنب فإن عفو الله أعظم وسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم مع إقلاعهم عنها وعدم الإصرار عليها، وندمهم عليها فلهذا وعدهم المولي ـ عز وجل ـ بمغفرة منه " وجنات تجرى من تحتها الأنهار ".

وذلك هو جزاء العائدين إلي ربهم من ظلمات المعاصي إلي نور الهداية. فمهما طال الليل لابد من طلوع الفجر، ومهما طال العمر لابد من دخول القبر.

وقبل ذاك الوقت لابد من الرجوع إلي الله قبل " أن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِوَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ "

وإن الله عز وجل ليفرح بتوبة العبد ورجوعه إليه بعد طول غياب في لهو الدنيا ليجد نفسه بين يدي أرحم الراحمين، ليغفر له ما أسرف فيه من الذنوب فما بعد ذلك الجزاء وما بعد تلك الرحمة إلا الجنة فيا غريقاً في بحر الذنوب قد آن أوان نجاتك.



عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:
" **يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة ". رواه مسلم.**

ماحكَّ جلدك مثل ظفرك
فتولَّ أنت جميع أمرك

وإذا قصدت لحاجة
فاقصد لمعترف بفضلك

الإمام الشافعى.

لا إله إلا اللّه

" أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّوَالْبَحْرِوَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " [النمل: ٦٣]

تبدأ الآية الكريمة باستفهام تقريري، فإن ما يراد الاستفهام عنه أمر مقرر ومعروف، ولكن التعبير به لكي يبين أنه تعالى الإله المعبود، وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل.

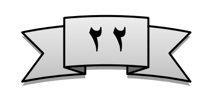
ثم ذكر تفاصيل ما يعرف به بهذا الاستفهام الأول:

" أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّوَالْبَحْرِ" حين تكونون فيها حيث لا دليل ولا وسيلة للنجاة إلا هدايته تعالى لكم، وجعل لكم من الأسباب ما تهتدون به.

ثم شرع في الاستفهام الثاني:

" وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ " ورحمته هنا تعني المطر فيرسل الرياح، فتثير السحاب، ثم تؤلفه، ثم تجمعه، ثم تلقحه، ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد، قبل نزول المطر، ولم يسع من يعلم ذلك إلا أن يقول: لا إله إلا الله جل ربي في علاه.

...ثم أعقب الله عز وجل ذلك باستفهام أخير ليبين أنه تعالى صاحب القدرة علي كل شئ بقوله " أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ " فعل ذلك؟أم هو وحده الذي انفرد به ؟



فلم تشركون معه غيره، وتعبدون ما سواه ؟ مع علمكم أنه تعالى وحده الخالق والمعجز.

فلا إله إلا الله. !!!

عن ابن عمر ـ رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** " رواه الترمذى.

*الغرغرة: بلوغ الروح الحلقوم وتيقن الموت.

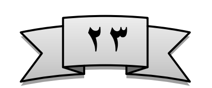
أرى الغَرَّ فى الدنيا إذا كان فاضلاً

ترقَّى على رءوس الرجال ويخطب

وإن كان مثلى لا فضيلة عنده

يقاس بطفل فى الشوارع يلعب

الإمام الشافعى.



النعمـة الكبـرى

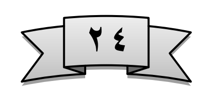
" وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ "[فاطر:٣٤]

تتحدث الآية عن جزاء المؤمنين في الآخرة وعاقبة أمرهم وتبين حالتهم بعد ما رأوا النعيم الذي وعدهم الله تعالى به فلما تم نعيمهم وكملت لذتهم، وأنعم الله عليهم بمغفرته ورضوانه وتلك أعظم النعم.

" قَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ " فكل نعمة من الخالق العظيم لابد أن ترد بالحمد عليها والشكر وذلك تصديقاً لقوله تعالى " لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ " و " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ "

فمن النعم التي أنعم الله بها عليهم أن أذهب عنهم الحزن وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم ولا طعامهم وشرابهم ولا دوام لبثهم ومكثهم، فهم في نعيم دائم متزايد.

فلو لم يغفر لهم زلاتهم لما حدثت لهم تلك النعم فشهدوا بأن " ربنا لغفور " حيث غفر لهم الزلات و " شكور " حيث قبل منهم الحسنات، وضاعفها، وأعطاهم من فضله ما لم تبلغه أعمالهم ولا أمانيهم، فبمغفرته نجوا من كل مكروه . وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب . ويتبين مما ذكر أن نعم الله تعالى التي لا تحصى ولا تعد أقل ما يقابله منا هو الحمد والشكر عليها والاعتراف بأنه لا واهب ولا رازق إلا هو جل وعلا.



" ولنقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات " .

عن أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " **من أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه** ".رواه ابن ماجه.

أمـا والـذى أبكـى وأضـحك والـذى

أمـات وأحيـا والـذى أمـره الأمـر

لقـد تـركتنى أحسـد الـوحش أن أرى

أليفـيْن منهـا لا يَرُوعُهُمـا الـذعر

عز الدين الزنجانى.

الملْكُ التامُّ

" وَلِلَّـهِ مَـا فِـي السَّـمَوَاتِوَمَا فِـي الأَرْضِ يَغْفِـرُ لِمَـن يَشَـاءُوَيُعَذِّبُ مَـن يَشَاءُوَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [آل عمران: ١٢٩]

نزلت هذه الآية الكريمة لما أصيب ﷺ يوم " أحد " وكسرت رباعيته وشج في رأسه، وجعل يقول: "كيف يفلح قوم، شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته " فأنزل الله تعالى هذه الآية ليبين أن الأمر كله لله وأن الرسول الكريم ﷺ ليس له من الأمر شئ، ولأن الجميع تحت عبودية ربهم.

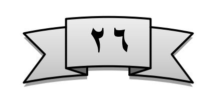
ويخبر تعالي أنه هو المتصرف في العالم بأجمعه، فله الأمر علي كل ما في السماوات والأرض، وأنه تعالي يتوب علي من يشاء، فيغفر لمن يشاء أن يغفر له، ويخذل من يشاء أن يعذبه.

فهو تعالى وحده المتصرف في كل شئ، فإن الله عز وجل بكونه الخالق لكل شئ وربه فكل ما خلقه تابع لإرادته ومشيئته.

ثم بين لنا الله جل وعلا أن من صفاته اللازمة، كمال المغفرة والرحمة، ووجود ما تقتضيه في الخلق، فيغفر للتائبين ويرحم من قام بالأسباب الموجبة للرحمة.

فلا جزاء بدون عمل، تصديقاً لقوله تعالي " هل جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ "، وعلينا أن نوقن ونؤمن بأن الأمر كله بيد الله جل وعلا يعز من يشاء ويذل من يشاء " **يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاًوَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ،أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناًوَإِنَاثاًوَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ".

[الشورى . ٤٩: ٥٠]



وإنه لو اجتمع أهل الأرض والسماء علي أن يأخذوا ما لم يكتب الله لهم لن يأخذوه. فتعالي الله المالك العظيم.

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنًى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هِرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجَّال فشرُّ غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدعى وأمرُّ** ".

رواه الترمذى.

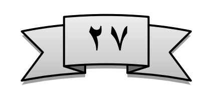
تمتَّع من الدنيا بساعتك التى

ظفرت بها ما لم تعقْك العوائق

فلا يومك الماضى عليك بعائدٍ

ولا يومك الآتى به أنت واثق

عز الدين الزنجانى.



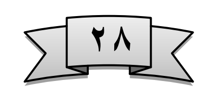
فرصة سانحة

"وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً " [النساء: ١١٠]

بدأت الآية الكريمة بذكر لفظين مختلفين وهما " وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً، " يَظْلِمْ نَفْسَهُ " مع العلم أن اللفظين بمعني واحد فظلم النفس من عمل السوء ولكنه تعالى ذكرهم لمعني يقتضيه، فإن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي، الصغيرة والكبيرة، وظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك، فما دونه، وضم كل منهما للآخر ليفسر كل منهما الآخر بما يناسبه.

وإذا نظرنا للآية من الوجه الآخر العقائدي، فإن الله تبارك وتعالى يعطي فرصة لمن تجرأ علي المعاصي، واقتحم الإثم ثم استغفر الله استغفاراً تاماً ومستلزماً لذلك الإقرار بالذنب، والندم عليه، والإقلاع والعزم علي عدم العودة إلي الذنب، فهذا قد وعده الله بالمغفرة والرحمة وإذا كانت تلك الفرصة من مالك الملك وكان وعده لا يخلف..، فعلى المرء الرجوع إلي ربه بقلب سليم، يرغب في المغفرة بالفعل.

وقد تعهد الله عز وجل بمغفرته للتائبين كما جاء في الأحاديث القدسية، فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء ثم جاء ورجع إلي ربه واستغفره لتاب عليه وغفر له، إلا أن يشرك به تعالى فتلك التي لا مغفرة فيها، فمن أذنب بخلاف الشرك عياذاً بالله فليعلم أن مغفرة الله ورحمته أعظم، وأن الله غفور رحيم.



عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: قال الله تبارك وتعالى:﴿**يا ابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى**﴾.حديث قدسى

قـريح القلـب مـن وجـع الـذنوب
نحيـل الجسـم يشـهق بالنحيـب

أضـــرَّ بجســـمه ســـهر الليـــالى
فصـار الجسـم منـه كالقصـيب

وغـــيَّر لونـــه خـــوف شـــديد
لمـا يلقـاه مـن طـول الكـروب

الإمام على.

كرامة النبى ﷺ عند ربه

" وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" [الأنفال: ٣٣]

الحمد لله الذي بعث فينا أشرف المرسلين، فكان طوق النجاة للعباد، وكان وجوده أمان للناس من العذاب، وذلك تصديقاً لما جاء في الآية الكريمة، ولكن إذا قلنا بأن الله تعالى عذبهم يوم بدر بالقتل والأسر وهو فيهم !! فكيف تأتّى ذلك ؟

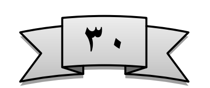
قلنا: أن معني الآية عدم تعذيبهم وهو مقيم فيهم بمكة، فما دام الرسول الكريم ﷺ في مكة لم يعذبوا، فلما أخرجوه من مكة وخرجوا لحربه عُذبوا.

وقيل: إنهم لا يعذبون عذاب الاستئصال وهو فيهم. أو لم يعذبوا بما طلبوه وهو إمطار الحجارة عليهم وهو فيهم. وإن دلَّ ذلك علي شئ فإنما يدل علي مكانة الرسول الكريم ﷺ عند ربه.

ثم بيَّن سبحانه وتعالى سبباً آخر لعدم إنزال العذاب بهم، وهو الاستغفار، ولكن العذاب هنا يختلف عن العذاب في الجملة السابقة، فإنما العذاب الأول عذاب الدنيا، والثاني عذاب الآخرة.

ولكن ما نستخلصه أن الذين عاصروا الرسول الكريم ﷺ فقد نعموا بعدم إيقاع العذاب بهم، ولكن ماذا يفعل من لم يعاصره ﷺ ؟؟.

أجبنا بأن الاستغفار خير دليل للنجاة. واتباع أمر الله وسنة رسوله الكريم ﷺ صاحب المكانة الرفيعة عند الله عز وجل.



قال الله تعالى فى حديث قدسى:﴿**يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم: لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابهامغفرة** ﴾. رواه الترمذى.

يـا شـاهد الله علـىَّ فاشـهدِ

أنى علـى ديـن النـبى محمَّـد

من شك فى الدين فإنى مهتد

يـا رب فاجعـل فى الجنـان موردى

الإمام على.

الموعــد الحــق

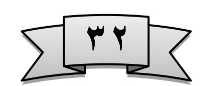
" وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ بِل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً "

[الكهف: ٥٨]

افتتحت الآية الكريمة بإخبار من الله عز وجل عن سعة مغفرته ورحمته، وهذا يتضح من ورود لفظ " الغَفُورُ " الذي جاء علي صيغة المبالغة من المغفرة، فإن مغفرة الله وصلت لأقصى مدى وكذا رحمته تعالى فأخبر تعالى أنه يغفر الذنوب ن ويتوب علي من يتوب، فيتغمده برحمته، وأنه تعالى لو آخذ العبد علي ما قدمت يداه من الذنوب، لعجل له العذاب، ولكنه تعالي حليم لا يعجل العذاب، بل يمهل، ولا يهمل، وأثر الذنب واقع وإن تأخر عنه مدة طويلة.

وإن الموعد الحق آت لا محالة وسوف يجازون فيه بأعمالهم، فلا محيد عنه، وهذه سنته في الأولين والآخرين فلا يعجل الله بالعذاب، بل يدعوهم إلي التوبة والإنابة، فإن تابوا غفر لهم ورحمهم، وإلا فسوف يأتي الوقت الذي جعله الله موعداً فينزل بهم بأسه.

وقتها سيندم من لم يرجع إلي الله، ولن ينفعه الندم، لأن الوقت سيكون قد أزف، وحانت لحظة المواجهة، ويرى كل امرئ ما قدمت يداه، **" يَوْمَ يَنظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُوَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً "** [النبأ: ٤٠]، وذلك لأناللَّهَ " لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ ".



عـن أبي موسـى - رضـى الله عنـه - عـن النبى صـلى الله عليـه وسـلم قال: " **إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** ".

رواه مسلم.

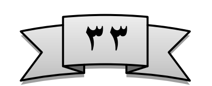
سـبيل ربـك والقـرآن منهجـه

نـور مـن الله لم يحُجَـب ولم يغـبِ

فى ركبـه شـرف الـدنيا وعزتهـا

ويـوم نبعـث فيـه خـير منقلـب

د. القرضاوى.



رحمة اللّه بعباده

" كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىنَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِوَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ". [الأنعام: ٥٤]

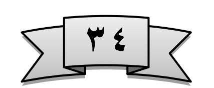
يسير نظام الكون علي أساس من الرحمة الإلهية والعدل، الخالى من كل معني للإساءة أو الظلم. ومنذ بداية الخلق وقد قضى الله عز وجل وكتب في كتابه فوق العرش، " إن رحمتي غلبت غضبي ". وجاء تصديقاً لما جاء في كتابه الكريم "كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىنَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ".

وبناءاً علي ذلك فإن الجزاء جار علي أساس الرحمة الإلهية فالعبد يكسب عمله بمحض إرادته، فإن كان الكسب مما يحبه الله، وحث العباد عليه، فجزاؤه الإثابة، ويغلب عليه الرحمة والإحسان.

وإن كان الكسب مما كره الله تعالى لعباده، ونهاهم عنه، فجزاؤه العقاب، ولكن إن تاب العبد وأصلح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة، فإذا وجد ذلك " وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ "، صَبَّ عليهم مغفرته ورحمته، بحسب ما قاموا به، بما أمرهم به.

ثم إن لم يغفر له بموجب من موجبات المغفرة كالتوبة أو العفو الالهيوعاقبه، كان العقاب بمحض العدل السيئة بمثلها فلا حيف ولا ظلم.

وصدق ربي حيث يقول " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍوَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَاوَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**".[النساء: ٤٠].



عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿**لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش " إن رحمت سبقت عقبى "**.. ﴾ رواه البخارى

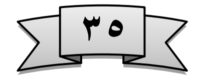
ما أهون الذنب يمحوه المتاب وما

أقسى الذنوب إذا المغرور لم يتُبِ

وخير ما يغسل العاصى مدامعه

والدمع من تائب أنقى من السحب

د. القرضاوى.



القـرض الحسـن

" إِن تُقْرِضُوا اللَّـهَ قَرْضـاً حَسَـناً يُضَـاعِفْهُ لَكُمْـوَيَغْفِرْ لَكُمْوَاللَّـهُ شَـكُورٌ حَلِيمٌ " [التغابن: ١٧]

الآية الكريمة جاءت ببشرى عظيمة للمؤمنين، ومن فعلها غفرت له ذنوبه، وضاعف له الله عز وجل حسناته.

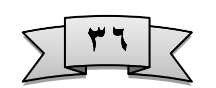
ألا وهي القرض الحسن مع المولى عز وجل، بمعني كل نفقة كانت من حلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ووضعها في موضعها " يضاعفها لكم " أي النفقة يضاعفها بعشر أمثالها وذلك إلي سبعمائة ضعف، إلي أضعاف كثيرة.

ومع المضاعفة للحسنات أيضاً " يغفر لكم " وذلك بسبب الإنفاق والصدقة، فإن الذنوب يكفرها الله تعالى بالصدقات والحسنات تصديقاً لقوله تعالى: " **إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ".

وكما قال رسول الله ﷺ " صدقة السر تطفئ غضب الرب " و " اتقوا النار ولو بشق تمرة ".

وذلك لأن الله " شكور حليم "، فهو تعالى شكور لأن يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر لمن تحمل من أجله المشاق والأثقال، ومن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه.

و " حليم " لا يعاجل من عصاه، بل يمهله، " **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍوَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** " [فاطر: ٤٧].



وما أطيب من أن يتاجر العبد مع الله عز وجل، وإنها لتجارة رابحة مربحة، فلن يخرج منها خاسراً أبداً وهنيئاً له دعوة الملكين " اللهم أعط منفقاً خلفاً "..

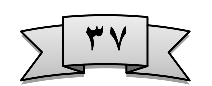
عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أَعط منفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أَعط ممسكاً تَلَفاً** ".

رواه مسلم.

واذا نطقت نطقت من ألفاظه

وإذا وهبت وهبت من نعمائه

عز الدين الزنجاني.



حطُّ الخطايا أو (حسن الظن بالله)

" إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ". [الشعراء: ٥١]

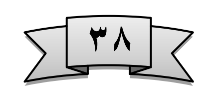
الآية الكريمة تتحدث عن سحرة فرعون، الذين اتبعوه وانساقوا وراءه، فعميت بصيرتهم، مثلهم كمثل من سيطر عليهم فرعون بكل ما أوتي من قوة..

ولكن يحين الوقت الذي يفيق فيه هؤلاء السحرة، ويتحررون من سيطرة فرعون وكفره، و يلجأون إلي الله عز وجل بعد ما آمنوا بموسى عليه السلام، طامعين أن يغفر لهم الله خطاياهم من الكفر والسحر، متوسلين إليه بكونهم " أول المؤمنين " بموسى عليه السلام فلم يرهبوا مما توعدهم به فرعون من العذاب، وذلك لأنهم ذاقوا حلاوة الإيمان، وعرفوا لذته.

فلما لجأوا إلي الله بيقين وخلاص وأحسنوا به الظن، فثبتهم الله وصبرهم

فيحتمل أن الله منعه . أي فرعون . منهم، ومنعه عن إيذائهم ولم يزل فرعون وقومه، مستمرين علي كفرهم حتى أوقع الله بهم عقابه.

فحط الخطايا يستلزم الرجوع والإنابة، والاعتراف بالذنب وعدم العودة إليه، ومن أهم الأمور التي يتطلبها حط الخطايا والذنوب، هي حسن الظن بالله عز وجل، وأن مغفرته ورحمته وسعت كل شئ ولما أحسن السحرة الظن بالله وتوكلوا ووثقوا بأن الله لن يخذلهم، كان الله تعالى عند حُسْن ظنهم به، فأعانهم ونجاهم وحط خطاياهم.



عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال الله تعالى: " **أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى . فإذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى . وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرَّب إلَىَّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إلَىَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة** ".

رواه مسلم.

ألا صاحب الذنب لا تقنطنّ

فـــــإن الالـــــه رءوف رءوف

ولا تــــرحلنَّ بــــلا عــــدةٍ

فــإن الطريــق مخــوف مخــوف

الإمام على.

عجيـب حقًّا

" **أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِوَيَسْتَغْفِرُونَـهُوَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** "[المائدة: ٧٤]

الآية الكريمة تحتوى علي دعوة صريحة إلي التوبة وتُبين أن الله تعالى يقبلها من عباه فقال: " أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ " أي: يرجعون إلي ما يحبه ويرضاه من الإقرار بالتوحيد والرجوع عما كانوا يقولونه " وَيَسْتَغْفِرُونَهُ " عن ما صدر منهم.. " وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، ويرحمهم، وذلك بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات.

وصدَّر دعوتهم إلي التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله تعالي " أَفَلاَ يَتُوبُونَ ".

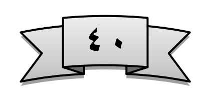
فذلك التعبير يحمل الكثير من لطف الله بالعباد، وبأنه يريد أن يغفر لهم، فيدعوهم إلي ما به ينالون هذه المغفرة.

وعجيب حقاً أن الله عز وجل يدعو عباده ليغفر لهم ونجد أن العباد هم من يتمنع ويرفض، ومع كل ذلك فإن الله تبارك وتعالى لم يتركهم وغيهم، بل يعطيهم المزيد من الفرص للعودة إليه.

وقال ربي في حديث قدسي " إن تقرب إلي: ـ أي العبد ـ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ".

وعجيب أن يظل العبد علي ضلاله بعد كل تلك الرأفة والرحمة.

وفى الحديث الشريف " **عجب ربك من شابٍّ ليست له صبوة** ".



الحـــب كـــالعطف معـــنىً لا وجـــود لــــه

إلا لبنـــت الهـــوى أو لابنـــة العنـــب

لا أمَّ . لا أب . لا أبنـاءِ . لا رحماً

كـلٌّ غريـق بـدنيا اللهـث والصـخب

د. القرضاوى.

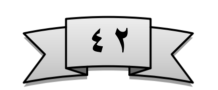
قيمة العمل الصالح

" وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاًوَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌرَّحِيمٌ " [التوبة: ١٠٢]

تتحدث الآية الكريمة عن قيمة العمل الصالح في الدنيا وأنه ينفع صاحبه يوم القيامة، فربما يدخله الجنة حتى وإن كان ضئيلاً بالمقارنة مع الأعمال الكبرى.

فيقول تعالى " وَآخَرُونَ " يقصد بهم من بالمدينة، ومن حولها بل ومن سائر البلاد الإسلامية، و " اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ " فأقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها وكانوا ممن " خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً "، وذلك مع أصل التوحيد والإيمان، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة، من التجرؤ علي بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء بأن يغفر الله لهم، فهؤلاء " عسى الله أن يتوب عليهم " وذلك إما بأن يوفقهم للتوبة، أو بأن يغفر لهم بعد وقوعها منهم.

ونلاحظ أنه ليس من الشاق علي الإنسان أن يقوم بأعمالٍ هى في ظاهرها قليلة ولكنها تقدر بالكثير عند الله عز وجل فما أيسر من أن يميط الأذى عن الطريق، أو يعود مريضاً، وما أكثر من يحتاج إلي مساعدة أخيه المسلم فتلك الأعمال وإن كان ظاهرها لا يقوم مقام غيرها من عظائم الأمور، إلا أن جوهرها يعني ويساوي الكثير فربما كانت سبباً لدخول الجنة ونَيْلِ المغفرة من الله عز وجل. ولا نقلل من قيمة الأمور فالصغير عندنا عظيم عند الله تعالى. ولا يعرف قدر الأشياء إلا من يجزى عليها.



عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمين لايؤذيهم فَأُدْخِلَ الجنة** " ـ رواه مسلم ـ

سـافر تجـد عوضـاً عمـن تفارقـه
وانصـب فـإن لذيـذ العـيش فى النصـب

إنى رأيـت ركـود المـاء يفسـده
إن سـاح طـاب وإن لم يجـر لم يطـب

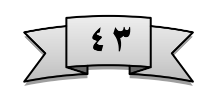
والأُسْد لـولا فـراق الغـاب ما افترست
والسـهم لـولا فـراق القـوس لم يصـب

والشمس لـو وقفـت فى الفلك دائمة
لملَّهـا النـاس مـن عجـم ومـن عـرب

والتـبر كـالترب ملقًـى فى أماكنـه
والعـود فى أرضـه نـوع مـن الحطـب

فـإن تغـرَّب هـذا عـزَّ مطلبـه
وإن تَغـرَّب ذلـك عـزَّ كالـذهب

الإمام الشافعى.



الحض على الحق

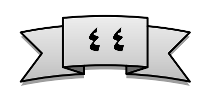
" قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " [النمل: ٤٦]

يخبر تعالى أنه أرسل إلي ثمود، القبيلة المعروفة، أخاهم في النسب، صالحاً عليه السلام. وجاء علي لسانه أنه أمرهم بعبادة الله وترك الأوثان ولكنهم انقسموا وكان أكثرهم من المكذبين. فأعقبهم باستفهام استنكاري فقال " لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ " فتبادرون بفعل السيئات، وتحرصون عليها قبل فعل الحسنات، التي تحسن بها أحوالكم وأمور حياتكم الدينية والدنيوية ؟

ثم بدأ يحدثهم باللين واللطف بهم ليحثهم علي التوبة إلي الله من شركهم وكفرهم، ويدعون أن يغفر الله لهم، وتلك الطريقة فيها من الحض علي الحق بما يتناسب مع عقولهم فإن رحمة الله قريب من المحسنين، والتائب من الذنوب هو من المحسنين.

وكل الرسل يحضون علي الحق، لأنه لا يفيد العمل الصالح مع الكفر، وإن كانوا يجدون ثمرته في الدنيا فذلك لأنهم لن يجدوه في الآخرة، ما داموا علي كفرهم.

وذلك ما صرح به الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما أجاب علي سؤال السيدة عائشة " أن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال " لا ينفعه إنه لم يقل يوماًرب اغفر لي خطيئتي يوم الدين "



فيتضح من ذلك أن الرجوع إلي الله هو السبيل الوحيد للنجاة، ولأجل ذلك جاءِ الرسل الكرام يحضون العباد علي اتباع الطريق الحق.

عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قلت: يا رسول الله ابن جُدْعَانَ كان فى الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه ؟ قال: لا ينفعه إنه لم يقل يوماً " **رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين** .. " ـ رواه مسلم ـ

لمـا وضعت صحيفتى
فى بطن كفِّ رسولها

قبَّلتُها لتمسَّها
يُمَنَاك عند وصولها

عز الدين الزنجانى.

عندئذتحلو الحياة

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً،يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً".

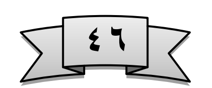
[نوح: ١٠، ١١]

إن سر السعادة في الحياة هو رضا الله عز وجل على المرء، ولا يكون الرضا إلا بفعل ما يوجبه، ومن موجبات الرضا من الله تعالى أن يتعلق العبد بحبل الله، ويترك ما كان عليه من الذنوب، وإن كان عليه أن يتخلص من ذنوبه فعليه بالاستغفار والتوبة،، وقد رغب الله تعالى عباده في الاستغفار وذلك ليغفر ويمحُوَ ذنوبهم، وذلك لقوله تعالى " إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً " أي: كثير المغفرة لمن تاب واستغفر.

وما يترتب عليه من حصول الثواب، واندفاع العقاب من أنواع الترغيب أيضاً.

ومما تضمنته الآية الكريمة من أنواع الترغيب الأخرى في الاستغفار قوله قوله تعالى " يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً " أي: مطراً متتابعاً يروى الشعاب ويحي البلاد والعباد و" وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍوَبَنِينَ " فيكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون فى الدنيا وليس فقط وإنما " وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍوَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً "، وهذا أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها.

وإذا حصل ذاك للعبد فعندئذ تحلو الحياة، فى معيَّة رضا الله عز وجل.



عـن السـيدة عائشـة ـ رضـى الله عنهـا ـ أن النـبى ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ كان يقول: " **اللهـم اجعلنى مـن الـذين إذا أحسـنوا استبشـروا، وإذا أساءوااستغفروا** ". رواه مسلم.

لا تكـره المكـروه عنـد نزولـه

إن المكـــارم لمهـا تــزل متباينـــه

كـم نعمـة لم تسـتقل بشـكرها

لله فى طـــىِّ المكـــارم كامنـــه

الإمام على.

عظمـة الرجـال

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ". [النحل: ٤٣]

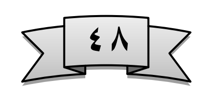
الآية الكريمة نزلت للرد علي الذين شككوا: هل بعث الله رجالا ؟ فأنزلت الآية الكريمة لتبين أن الله عز وجل لم يرسل قبلهم ملائكة، بل رجالا كاملين، وليس نساء، " نوحي إليهم " من الشرائع والأحكام، ما هو من فضله وإحسانه علي العباد، من غير أن يأتوا بشئ من قبل أنفسهم، ثم وجه الله تعالى إليهم الأمر بسؤال أهل الأديان والكتب السابقة، وذلك " إن كنتم لا تعلمون " نبأ الأولين.

فاسألوا أهل العلم، الذين نزلت عليهم الزبر والبينات، فعلموها وفهموها، فقد تقدر عندهم جميعاً، أن الله ما بعث إلا رجالاً يوحي إليهم من أهل القرى ، وعموم الآية فيها مدح أهل العلم.

وعموم الآية أيضا تشير إلي اختصاص الرجال بأداء الرسالة التي يبعث الله بها.

فقد أمر الله عز وجل من لا يعلم، بالرجوع إلي أهل العلم ويدل علي ذلك أن الله ائتمنهم علي وحيه وتنزيله، وفضَّل أهل الذكر، وهم أهل القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر علي الحقيقة،، وأولي من غيرهم بهذا الاسم.

وبذلك يتضح لنا أن الله عز وجل لم يرسل ملائكة ولا نساء وإنما أرسل رجالاً مختارين من بين جميع البشر لخصوصية فيهم، تجعلهم قادرين علي أداء الرسالة، وقادرين علي تحمل الصعاب والمشاق في سبيل الدعوة.



عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: " **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة**". رواه مسلم.

نفسى الفداءِ لغائب عن ناظرى

ومحلـه فى القلـب دون حجابـه

لـــولا تمتُّـــعُ مقلـــتى بلقائـــه

لوهبتهـــا لمبشِّـــرى بإيابـــه

عز الدين الزنجانى.

الحذر من الآفات

"الْحَــجُّ أَشْــهُرٌ مَّعْلُومَــاتٌ فَمَــن فَــرَضَ فِــيهِنَّ الحَــجَّ فَــلاَ رَفَثَوَلاَفُسُوقَوَلاَجِدَالَ فِي الحَجِّ " [البقرة: ١٩٧]

يخـبر تعـالى أن " الحـج " واقـع في " أشـهر معلومـات " لا تحتـاج إلي تخصيص لكونه معلوماً ومعيناً، والأشهر المعلومات عند الجمهور: شوال، ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، وهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالبا.

فمن فرض فيهن الحج " أي احرم به " " فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ".. وفي ذلك تنبيهٌ لمن أراد الحج بأن يتجنب تلك الأمور التى تنقص من ثوابه وحجه.

فيجب أن يعظموا الإحرام بالحج وخاصة الواقع فى أشهره، ويصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث وهو:

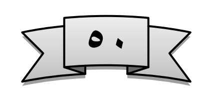
١-الجماع ومقدماته القولية والفعلية.

٢-والفسوق وهو:

" **جميع المعاصى ومنها محظورات الإحرام** ".

٣- والجدال وهو: المنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة.

لأن المقصود من الحج: الذل والإنكسار لله تعالى، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فبذلك يكون مبروراً، والمبرور جزاؤه الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة فى كل مكان وزمان، فإنه يتغلظ المنع عنها فى الحج.



ولا يتم التقرب إلا بترك المعاصى حتى يفعل الأوامر، ولذا قال تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾.

ويتبين مما ذُكر أن الآيات الكريمة تحذر من الوقوع فى الآفات.

عن أم سلمّه ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحِّىَ فلا يمسُّ من شعره وبشره شيئاً** ". رواه مسلم.

تموت الأُسْدُ فى الغابات جوعاً

ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينام على حرير

وذو نسب مفارشه التراب

الإمام الشافعى.

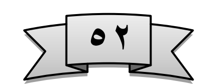
القَسَمُ فى القــران

﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِوَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ١: ٥]

الظاهر فى الآيات الكريمة أن المقسم عليه هو المقسم به، وذلك الأمر جائز مستعمل إذا كان الأمر هاماً، وهو كذلك فى هذا الموضع، فأقسم الله تعالى بالفجر الذى هو آخر الليل ومقدمة النهار، وذلك لما فيه من الآيات الدالة على كمال قدرة الله وأنه تعالى هو المدبر لجميع الأمور.

وبما أن الفجر صلاة فاضلة معظمة يحسن أن يقسم بها، فلهذا أقسم بعده بالليالى العشر، ولكنه تعالى نكر الليالى العشر دون سائر ما أقسم به ولم يعرفها لام العهد وهى ليال معلومة فإنها الليالى العشر من ذى الحجة على قول الجمهور، والسبب أنها مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بفضيلة ليست لغيرها والتنكير أدل على التفخيم والتعظيم. وفى تلك الأيام الفاضلة يكون الوقوف بعرفه الذى يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، وفيها تنزل الأملاك بالرحمة من الله على عباده، فهى أيام مستحقة أن يقسم بها. أما قوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾أى: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون رحمة منه تعالى وحكمة.

ثم عقب سبحانه وتعالي بقوله " هل في ذلك " المذكور " قسم لذي حجر " أي لذي عقل ؟ فإن بعض ما أقسم الله به يكفي " لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد ".



عن ابن عباس . رضى الله عنهما . عن النبى صلى الله عليه وسلم . أنه قال: " **ما العمل فى أيام أفضل منها فى هذه.. قالوا: ولا الجهاد ؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء** ". . رواه البخارى.

وخير جليس لا يُمَلُّ حديثه

وترداده يزداد فيه تجمُّلا

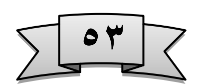
وحيث الفتى يرتاع فى ظلماته

من القبر يلقاه سناً متهللا

هنالك يهنيه مقيلاً وروضة

ومن أجله فى ذروة العز يجتلا

الإمام الشاطبى.



ضوابط لابدَّ منها

﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ وَلاَتَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حتى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦]

يستدل العلماء من قوله تعالى " وأتموا الحج والعمرة لله " علي أمور:
أحدها: وجوب الحج والعمرة وفرضيتهما.

وثانيها: وجوب إتمام الحج والعمرة بأركانهما وواجباتهما.

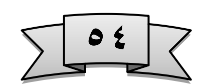
وكما أن الحج فريضة هامة فلابد لها من ضوابط يقوم بها العباد، وكل في موضعه، ويتضح الأمر كالآتي:

قال تعالى: " فإن أحصرتم " أي: منعتم من الوصول إلي البيت الحرام لتكميلها، بمرض أو ضلالة أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر أي المنع " فما استيسر من الهدي " فمن حدث معه ذلك فليذبح ما استيسر من الهدي، وهو سُبع بدنة: أو سُبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر.

ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر، فإن لم يجد الْهَدْىَ فليصم عشرة أيام كما في المتمتع ثم يحل.

ثم قال تعالى " ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله "

وهذا من المحظورات في الإحرام، إزالة الشعر بحلق أو غيره من الرأس أو البدن، لأن المقصود من ذلك المنع من الترفه بإزالته، ومراعاة تلك الأمور من الضوابط التي لابد منها في أداء الفريضة.

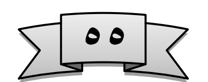


وكل ما ذكر يكون " حتى يبلغ الهدي محله " وهو يوم النحر، والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية ويدخل فيه ما كان في معناه كتقليم الأظافر، أو تغطية الرأس أو لبس المخيط أو الطيب، فإنه يجوز عند الضرورة فقط مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع إزالة ما به الترفه فعلى الحاج والمعتمر الالتزام بتلك الضوابط اللازمة حتى يكون حجا مبروراً.

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: " **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءُ إلا الجنة** ".متفق عليه

عَلَيَّ ثياب لو تباع جميعها
بفلسٍ لكان الفلس منهنَّ أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها
نفوس الورى كانت أجلّ وأكبرا

الإمام الشافعي.



الرحلة الميمونة

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[آل عمران:٩٧]

إن الله عز وجل قد أوجب الحج علي عباده المكلفين القادرين المستطيعين إليه سبيلا وهو الذي يقدر علي الوصول إليه بأي مركوب كان يناسبه وزاد يتزوده ولهذا أتي الله تعالى بلفظ " من استطاع إليه سبيلا " وذلك اللفظ الذي يمكن تطبيقه علي جميع المركوبات الحديثة والتي ستحدث.

وهذا من آيات القرآن وإعجازه حيث كانت أحكامه ولا تزال صالحة لكل زمان ومكان ولكل حال كان عليها الإنسان ولا يمكن الصلاح التام بدون آيات الله عز وجل فمن أيقن بذلك وقام به فهو من المهتدين المؤمنين، ومن كفر فلم يلتزم حج بيته الحرام فهو خارج عن الدين " ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ".

.. وقد حث الرسول ﷺ المؤمنين علي حج بيت الله الحرام وذلك بما أجاب به علي السيدة عائشة رضي الله عنها حينما قالت: يا رسول الله: نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال: "لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور".

فيتضح من قول الرسول الكريم أن فريضة الحج نوع من الجهاد وهو أفضل الجهاد.

ومن قام بشعائره والتزم بضوابطه عاد خالياً من الذنوب كيوم ولدته أمه، فما أعظم تأدية فروض الله وما أعظم أجر من أطاع الله وخاصة إن كان الأجر

هو مَحْوُ جميع الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر وذلك بحج مبرور فإنها حقا رحلة ميمونة.

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت: يا رسول الله: نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال: " لا.. لكن أفضل الجهاد حج مبرور ". رواه البخارى.

إلهى أنت ذو فضل ومنٍّ

وإنى ذو خطايا فاعف عنِّى

وظنى فيك يا ربى جميل

فحقق يا إلهى حسن ظنِّى

الإمام على.

من هنا كان البلاغ

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]

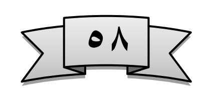
منذ أن هيأ الله عز وجل مكان البيت الحرام وأرسل إليه إبراهيم عليه السلام وأنزله إياه، وجعل قسما من ذريته من سكانه، وأمره ببنائه فبناه علي تقوي من الله، أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس أي يعلمهم به ويدعوهم إليه ويبلغ دانيهم وقاصيهم بفرضه وفضيلته فإن دعاهم أتوه حجاجا ومعتمرين.

رجالاً أي مشاة علي أرجلهم من الشوق " وعلي كل ضامر " أي: ناقة تقطع المسافات وتواصل السير حتى تأتي إلي أشرف الأماكن " من كل فج عميق " فيأتون من كل بلد بعيد وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده محمد ﷺ فدعيا إلي حج هذا البيت، وقد حصل ما وعد الله به، وذلك ليشهدوا منافع لهم وهي منافع دينية ودنيوية.

فقد كان وعد الله لنبيه حق " إنه لا يخلف الميعاد " ومن استجابة إبراهيم عليه السلام لأمر الله عز وجل كان البلاغ.

وقد أخلص الخليل عليه السلام في تنفيذ ذلك الأمر، وذلك بعد أن بني الكعبة هو وابنه إسماعيل عليهما السلام، وأمره بأن لا يشرك بالله شيئا وبأن يخلص لله أعماله ويبنيه علي اسم الله

فكل عمل كان بدايته التقوى والإخلاص، حقق أسمى مراد منه ومن هنا كان البلاغ.



عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ". متفق عليه.

سأمنح مالى كل من جاء طالباً

وأجعله دوماً وقفاً على الفرض

فإمَّا كريم صنت بالمال عرضه

وإما لئيم صنت عن لؤمه عرضى

الإمام على.

ما هو المقصود من الشعائر ؟

﴿إِنَّ الصَّفَاوَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]

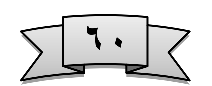
يخبر الله تعالى أن الصفا والمروة وهما معروفان " من شعائر الله " أي: أعلام دينه الظاهرة: التي تعبَّد الله بها عباده وهذا هو المقصود من الشعائر، وإذا كانا من شعائر الله فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال: " ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ". فدل مجموع النصين علي أن " الصفا والمروة من شعائر الله " وأن تعظيم شعائره " من تقوى القلوب".

" فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما " وهذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين، عن الطواف بينهما، لكونهما في الجاهلية كانت تُعْبَدُ عندهم الأصنام فنفي تعالى الجُناحَ لدفع هذا الوهم لأنه غير لازم.

وقد قام الرسول الكريم ﷺ بتلك الشعائر، وقد بدأ في الطواف بهما بما بدأ به الله في الآية الكريمة فطاف بالصفا أولاً.

ونجد أن السنة النبوية تطبق النص القرآني لمزيد من التأكيد وحتى يكون الاستيعاب كاملا يحتاج أحيانا للتطبيق العملي، وهذا ما حدث هنا، ولأن السنة جاءت تفصيلا للقرآن الكريم.

ويتضح أن السعي بالصفا والمروة فرض لازم للحج والعمرة، ودل عليه فعل الرسول الكريم، وقال " خذوا عني مناسككم " فالسعي بهما من المناسك اللازمة.



عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الصفا وقال: نبدأ بما بدأ الله به.. ثم قرأ: " **إن الصفا والمروة من شعار الله** ".رواه النسائى.

أمتُّ مطامعى فأرحت نفسى

فإن النفس ما طمعت تهون

وأحْيَيت القنوع وكان مَيْتاً

ففى إحيائه عرضى مصون

إذا طمعٌ يحِلُّ بقلب عبدٍ

علته مهانة وعلاه هون

الإمام الشافعى.

الأضحية ومشروعيتها

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَوَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾

[الكوثر: ١ ـ ٣]

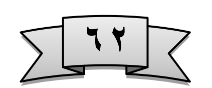
يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ " إنا أعطيناك الكوثر " أي: الخير الكثير والفضل الغزير ومن جملته ذاك النهر الذي يقال له الكوثر، ولما ذكر الله عز وجل ما مَنَّ به علي نبيه أمره بشكره علي ما أعطاه فقال " فصل لربك وانحر " وخص هاتين العبادتين بالذكر لأنهما أفضل العبادات وأجل القربات وجاء بالنحر لأنه تقرب إلي الله بأفضل ما عند العبد من الاضاحي، ولأن فيه إخراج للمال الذي جبلت النفوس علي محبته واكتنازه والشح به.

وكان لذكر الأضحية ولتشريعها حكم سامية شرعت من أجلها ومن تلك الحكم:

شرعها الله عز وجل إحياء لذكرى إبراهيم عليه السلام وتوسعة علي الناس يوم العيد ولجلب الألفة والمودة بين الناس كما قال الرسول الكريم ﷺ عن أيام الأضحى" إنما هي أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل ".

والأضحية: هي ما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقربا إلي الله تعالى.

والآيات الكريمة المذكورة دليل علي مشروعيتها وقد ثبت أن الرسول الكريم ضحي وضحي المسلمون وأجمعوا علي ذلك وذكر في فضلها عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي الكريم قال: " ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلي الله من إهراق الدم، وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن



الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا " وفي قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما فيه الحث للمسلمين علي فعلها " وما أتاكم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ".

قال أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا رسول الله: ما هذه الأضاحى ؟ قال: سنة أبيكم إبراهيم ـ قالوا: فما لنا فيها ؟ قال: بكل شعرة حسنة ـ قالوا: فالصوف يا رسول الله ؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة ". رواه ابن ماجه.

لـك الحمـد إمَّـا علـى نعمـة
وإمَّـــا علـــى نقمـــة تُـــدْفَعُ

تشـــاء فتفعـــل مـــا شـــئته
وتســمع مــن حيــث لا يُســمَعُ

الإمام على.



الفقه فى الدين

﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]

الآية الكريمة تشير إلي أهمية وقيمة العلم والعلماء الذين يسعون إلي تعليم غيرهم، فقال تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم " أي من البلدان والقبائل " طائفة " تحصل بها الكفاية والمقصود " ليتفقهوا . أي القاعدون . " في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم " فيعلمون العلم الشرعي، ويعلموا معانيه ويفقهوا أسراره، ثم يُعلموه لغيرهم " ولينذرُوا قومهم إذا رجعوا إليهم ".

ففي هذا بيان فضيلة العلم وخصوصا الفقه في الدين لأنه أهم الأمور وأيضا بيان أن من تعلم علما فعليه نشره في العباد فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره الذي يَنْمَى وأما اقتصار العالم علي نفسه وعدم دعوته إلي سبيل الله وترك التعليم لمن لا يعلمون، فإن غايته تكون موت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً.

وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد لفائدة مهمة وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يخصوا لكل مصلحة من مصالحهم من يقوم بها لتقويم مصالحهم، ولتكون وجهتهم وغايتهم هي قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت بهم الطرق.

وكل ذلك لا يتم إلا عن طريق تعلم العلم الشرعي الذي تقوم عليه أمور الدنيا والآخرة ولنعلم أن فضل العلم لا يقَّدر ف: " إن الملائكة لتبسط أجنحتها

لطالب العلم رضا بما يصنع " وذلك كما قال نبينا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد حث الرسول الكريم المسلمين علي تعلم العلم والسعي وراءه وطلبه من العلماء ولو بَعُدَت بينهم المسافات وقال تعالى: " **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** " [الأنبياء: ٧] وذلك لأنه لا فائدة للحياة بدون علم نافع وخاصة التفقه في الدين.

قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه وتعالى يحي القلوب بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل السماء ـ وإذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء، ويُفْقَدُ وجهُهُ ولا يُنسَى أثره ".

لنا السَّلف المقدَّم لو علمتم

ولم توقد لنا بالغدر نارُ

وكل مناقب الخيرات فينا

وبعض الأمر منقصة وعارُ

عز الدين الزنجانى.

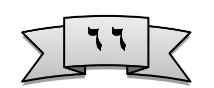
خاصٌّ بالمؤمنين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْوَلاَنِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ﴾. [الحجرات: ١١]

توضح الآية الكريمة حقوق المؤمنين بعضهم علي بعض، وذلك بتقرير حق من أهم الحقوق وهو أن " لا يسخر قوم من قوم " وذلك بشتى أنواع السخرية من كلام أو قول أو فعل دال علي تحقير أخيه المسلم، فإن ذلك حرام ولا يجوز لأن فيه دلالة علي إعجاب الساخر بنفسه " عسى أن يكونوا خيراً منهم " فمن الممكن أن يكون المسخور منه خيرا من الساخر وهو الغالب والواقع، فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متخلِّقٍ بكل خُلُق ذميم، مُتخلٍّ من كل خُلُق كريم، ولهذا قال النبي ﷺ " بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ".

وعم النهي النساء أيضا، فنهي الله تعالى عن سخرية النساء من أخريات مسلمات مثلهن، فكلهن في النهاية يوحدون ربا واحدا فليس من حق المسلم أو المسلمة أن يسخروا بقول أو فعل من إخوانهم المسلمين أو من غير المسلمين وما يدريهم فعسي أن يكونوا أقل من المسخور منهم، ولكنهم عَمُوا عن أنفسهم وعميت أبصارهم ولم تبق غير أبصارهم التي ترى عيوب الآخرين ولا ترى عيوبها.

وكما علمنا أنه لا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، فقبل أن تسول لنا أنفسنا بأن تسخر من غيرنا فلنحاول إصلاح أنفسنا ونزودها بالتقوى فإن ذلك أولي وأجدر بنا أن نفعله.



قال صلى الله عليه وسلم: " المسلم أخو المسلم . لا يخذلْه ولا يحقرْه ولا يظلمْه ولا يخذلْه " رواته ثقات.

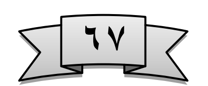
جميــع فوائــد الــدنيا غــرور

ولا يبقـــى لمســـرور ســـرور

فقــل للشــامتين بنــا أفيقــوا

فـــإن نوائـــب الـــدنيا تـــدور

الإمام على.



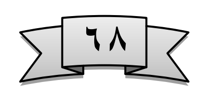
تأديب الذات

﴿وَلاَتَلْمِـزُوا أَنْفُسَـكُمْوَلاَتَنَابَزُوا بِالأَلْقَـابِ بِـئْسَ الاسْـمُ الفُسُـوقُ بَعْـدَ الإِيمَانِوَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾. [الحجرات: ١١]

الآيـة الكريمـة فيهـا مـن الآداب والارشـادات الـتي يجـب علـي المسـلمين اتباعها، ومما ذكرته الآية الكريمة من الخصال التى يجب الإبتعاد عنها قوله تعالى ﴿وَلاَتَلْمِـزُوا أَنْفُسَـكُمْ ﴾ أى لا يعيـب بعضـكم علـى بعـض واللمـز: يكـون بالقول، والهمز: بالفعل وكلاهما منهى عنه وحرام متوعَّد عليه بالنار، كما قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾. ولفظ " أنفسكم " سمى الله به الأخ المسلم لأخيـه، فكأنـه نفسـاً لـه، لأن المؤمنين ينبغـى أن يكـون هـذا حـالهم كالجسـد الواحد.

ثم قـال ﴿وَلاَتَنَـابَزُوا بِالأَلْقَـابِ ﴾ أى لا يعيِّر أحـدُكم أخـاه ويلقبـه بلقـب يكرهه، وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل فى هذا ﴿بِئْسَ الاسْـمُ الفُسُـوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ أى بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه باسم الفسوق والعصيان الذى هو التنابز بالألقاب. ثم نبه الله تعالى المسلمين إلى التوبة، وأن من خالف ذلك ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لأن الواجب على العبـد أن يتـوب إلى الله ويخرج مـن حـق أخيـه المسـلم باسـتحلاله والإسـتغفار والمدح مقابل الذم.﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح. ولا ثالث لهما.

ومن عَلِمَ أن العقاب سيكون شديداً فسوف يترفَّع عن القيام بمثل هذه الأمور. وكما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ـ: " ليس من رجل ادعى



لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ". فمن منا يريد أن يكون هذا مصيره ؟ !!.

عن أبي ذر ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " ليس من رجل ادَّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر . ومن ادَّعى ما ليس له فليس منَّا وليتبوأ مقعده من النار ". رواه مسلم.

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدراً

فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه

يَدعو عليك وعين الله لم تنم

الإمام على.

شـرُّ الخليقـة

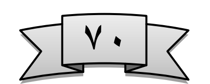
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾

[القلم: ١٠ ـ ١٢]

كلما قرأنا القرآن الكريم وتمعنًّا فى فهم آياته ومعانيه، نجد دوماً أن الله عز وجل يرشد عباده لما فيه النجاة لهم والخير، ففى الآيات الكريمة يحذر الله عز وجل وينهى عن اتباع أنواع معينة من البشر يتصفون بتلك الصفات، وأولها ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ**﴾ أى كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا إذا كان كاذباً ولا يكون كاذباً إلا وهو " **مهِينٍ** " أى خسيس النفس ناقص الهمة ليس له رغبة فى الخير بل إرادته فى شهوات نفسه الخسيسة، " **هَمَّازٍ** " أى كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والإستهزاء. " **مشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** " أى: يمشى بين الناس بالنميمة، وهى نقل كلام بعض الناس لبعض بقصد الإفساد بينهم وإيقاع العداوة والبغضاء.

"**مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ** " الذى يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات. "**مُعْتَدٍ** " **أى**:يعتدى على الخلق يظلمهم فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم. " **أَثِيمٍ** " أى: كثير الإثم والذنوب المتعلقة فى حق الله.

وحاصل هذا ان الله تعالى ينهى عن طاعة كل حلاف كذاب خسيس النفس سىء الأخلاق، خصوصاً الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس والتكبر على الحق وعلى الخلق. وهذه الآيات وإن كانت نزلت فى بعض المشركين كالوليد بن المغيرة، إلا أنها عامة فى كل من اتصف بهذه الصفات. لأن القرآن نزل هداية للخلق كلهم ويدخل فيه أول الأمة وآخرها: وربما نزلت بعض الآيات



فى سبب أو شخص لتتضح به القاعدة العامة ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة فى القضايا العامة.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " خيار عباد الله الذين إذا رُءُوا ذُكِرَ الله، وشرار عباد الله المشَّاءون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة ـ الباغون للبرآء العيب ". رواه أحمد.

سجدنا للقرود رجاء دنيا

حَوَتْهَا دوننا أيدى القرود

فلم ترجع أنا ملنا بشىء

جنيناه سوى ذلِّ السجود

عز الدين الزنجانى.

اجتناب سوء الظن

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

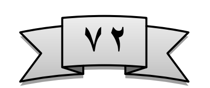
[الحجرات: ١٢]

الآية الكريمة تشتمل على نهى صادر من الله عز وجل عن الظن السيىء بالمؤمنين بقوله " **اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ** " واجتناب الشىء يكون باجتناب ما يوصل إليه، من دواعِىَ وأسباب " **إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** " وذلك كالظن الخالى من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء الذى يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغى، ويفعل ما لا ينبغى، وفى ذلك أيضاً إساءة بالمسلم وبغضه وعدوانه المأموربخلافها منه.

وقد أمرنا الله عز وجل أن نبَين الأمور ونتحقق منها حتى لا نقع فى الظن الذى يجعلنا نسىء لغيرنا بدون فهم، فقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦].

فالواجب أن يتثبت المرء ويتبين قبل أن يظن الظنون، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه فعليه إصلاح الأمر دون إضرار باحد، وكذا إن دلت على كذبه، فمعنى ذلك أنه لا مجال للظن السىء بأحد ابتداءً، ويكون قد تجنب الوقوع فى الخطأ.

وقد صاحب نهى الله تعالى عن الكثير من الظن، نهالرسول الكريم أيضاً عنه حيث قال " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " فما بالنا إن كان



الأمر خالياً من الحقائق والقرائن. فقد يندرج تحت طائلة الظلم للآخرين. ولأجل ذلك فقد أرشدنا الله تعالى أن نجتنب هذه الأمور حتى ننأى بأنفسنا من الوقوع فيما هو أكبر.

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** " متفق عليه.

الدهر يومان: ذا أمن وذا خطرُ

والعيش عيشان: ذا صفو وذا كدرُ

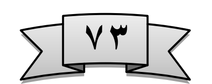
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف

وتستقر بأقصى قاعه الدررُ

وفى السماء نجوم لاعداد لها

وليس يُكْسَفُ إلا الشمس والقمر

الإمام الشافعى.



تحريــم الغيبــة

﴿وَلاَتَجَسَّسُواوَلاَيَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]

بعد أن نهى الله، عز وجل المؤمنين عن الظن السيء بالمسلم، أتبعه بنهى أكبر، لأن الضرر المتعلق به عظيم فقال تعالى " **وَلاَتَجَسَّسُوا** " أى: لا تفَتِّشوا عن عورات المسلمين ولا تتبعوها ولكن دعو المسلم على حاله، وحاولوا التغافل عن زلاته والإنسان نفسه إذا فتشت زلاته ظهر منها ما لا ينبغى، وذلك لأن [من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته وفضحه ولو كان فى عقر داره].

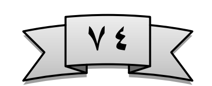
فليحذر المسلم من البحث وراء ما خفى، فلعل الله يرسل له من يبحث وراءه ويفشى أسراره. ثم قال تعالى " **وَلاَيَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً**" والغيبة كما قال النبى الكريم " ذكرك أخاك بما يكره " ولو كان فيه، ثم ذكر القرآن نفراً عن الغيبة فقال " **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ** "

فقد شبه حال الذى يغتاب أخاه المسلم وكأنه يأكل لحمه مْتاً: وذلك مكروه للنفوس غاية الكراهة.

فكما أنكم تكرهون أكل لحمه خصوصاً إذا كان مَيْتًا فاقد الروح فكذلك فلتكرهوا غِيبته وأكل لحمه حياً.

وفى هذه الآية الكريمة دليل على التحذير الشديد من الغيبة وأنها من الكبائر.

لأن الله تعالى شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.



عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.. قال: ذكرك أخاك بما يكره.. قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** ". رواه مسلم.

لِسِـتٍّ غيبـةٌ كـرِّر وخـذها

منظَّمـــةً كأمثـــال الجـــواهر

تظَّلـم واستعن واستفت حذِّر

وعـرِّف واذكـرن فسـق المجـاهر

شاعر.

حفظ الأَيْمـــان

﴿وَلاَتَجْعَلُـوا اللَّـهَ عُرْضَـةً لأَيْمَـانِكُمْ أَن تَبَرُّواوَتَتَّقُواوَتُصْـلِحُوا بَـيْنَ النَّاسِوَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]

المقصود من اليمين والقسم فى الآية الكريمة:

تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه، وكان الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان، وكان مقتضى حفظها أن يكون فى كل شىء.

فليس كل أمر يستدعى أن يتعرض للحلف، ولكن الله تعالى استثنى من ذلك، إذا كان البر باليمين، يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فنهى عباده أن يجعلوا أيمانهم عرضة: أى مانعة وحائلة عن أن يبروا أى يفعلوا خيراً ويتقوا شراً، ويصلحوا بين الناس.

فجعلوا الأيمان حائلة بينهم وبين فعل الخير والإصلاح.

والحلف أنواع: (١) الحلف على ترك واجب: فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه، وحرم إقامته على يمينه.

(٢) الحلف على ترك مستحب: وذلك يستحب له الحنث فى يمينه.

(٣) الحلف على فعل محرم أو مكروه أو مباح.

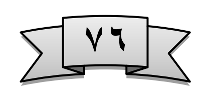
فمن حلف على فعل المحرم، وجب حنثه. فلا يمين فى معصية الله.

أو حلف على فعل مكروه استحب الحنث.

أو على مباح، فينبغى فيه حفظ اليمين عن الحنث.

وملخص ما تتضمنه الآية أنها تنهى عن كثرة الحلف.

وعن الحلف الذى يحول عن فعل الخير والإصلاح بين الناس.



ومن مضار الحلف أنه يأتى صاحبه يوم القيامة ويكون ممن يبغضهم الله تعالى. وقد ورد فى ذلك توجيه الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . يبغضهم الله عز وجل وذكر منهم البياع الحلاف.

وقد جاء فى كتاب الله " ولا تطع كل حلاف مهين ".

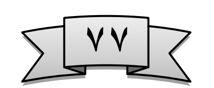
فالحلف فى كل الأمور يؤدى بصاحبه إلى الخسران وإن أراد المرء تجنب كل ذلك فعليه بحفظ الأيمان.

عن أبى هريرة . رضى الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: " **أربعة يبغضهم الله عز وجل: البياع الحلاَّف، والفقير المختال . والشيخ الزانى . والإمام الجائر** ". . رواه النسائى .

وكنت ذخرت آمالى لوقتٍ
فكان الوقت وقتك والسلام

وكنت أطالبُ الدنيا بحُرٍّ
فكنتَ الحرُّ وانقطع الكلام

عز الدين الزنجانى.



لغـــو الحديـــث

﴿وَقَـدْ نَـزَّلَ عَلَـيْكُمْ فِـي الكِتَـابِ أَنْ إِذَا سَـمِعْتُمْ آيَـاتِ اللَّـهِ يُكْفَـرُ بِهَاوَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾

[النساء: ١٤٠]

يبين الله عز وجل فى الآية الكريمة الحكم الشرعى عند حضور مجالس الكفر والمعاصى " أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها " أى: يستهان بها. والواجب أن آيات الله، تُعظّم وتُفَخَّم، وعلى كل مكلف الإيمان بها، وإجلالها، وهذا هو المقصود بإنزالها. وهذا ما خلق البشر لأجله، ومن لم يؤمن بآياته تعالى فقد كفر بها واستهزأ بها.

ويدخل فى الآية أيضاً معنى المجادلة من الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصرة كفرهم. وكذلك المبتدعون.

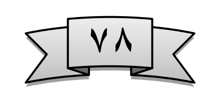
فإن احتجاج هؤلاء على باطلهم، يتضمن الإستهانة بآيات الله فنهى الله عز وجل المؤمنين عن حضور المجالس التى يستهزأ فيها بآيات الله.

ومنتهى هذا النهى القعود معهم " حتى يخوضوا فى حديث غيره " أى: حتى يتغير مسار الحديث عن الكفر إلى غيره.

لأنهم إن استمروا فى الجلوس والإستماع لأقوال هؤلاء الكافرين فإنه يصبح مثلهم وهذا أشد جزاء للردع.

فقد قال تعالى " إنكم إذاً " إن قعدتم معهم فى الحال المذكور: " مثلهم " وذلك لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم.

والراضى بالمعصية، كالفاعل لها.



والحاصل أن من حضر مجلساً يُعصَى فيه الله، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة، أو القيام من المجلس فى حال عدم القدرة.

وإن دلَّ ذلك على شىء فإنما يدل على وجوب تعظيم آيات الله، ومنع من يحاول الإستهانة بها، إن كان قادراً، وإلا فليقم من ذلك المجلس لئلا يُؤخذ بإثمهم ويصبح مثلهم.

عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ أنه بلغه أن رجلاً ينمُّ الحديث فقال حذيفة: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: " **لا يدخل الجنة نمَّام** ". رواه مسلم.

لا يُبْعِدُ الله إخواناً لنا ذهبوا
أفناهمُ حدثان الدهر والأبد
نمدُّهم كل يوم من بقيتنا
ولا يؤوب إلينا منهم أحد

عز الدين الزنجانى.

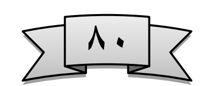
مسئولية.. ما أثقلها

﴿وَلاَتَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَوَالْبَصَرَوَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦]

ما أصعب أن يتحمل المرء مسئولية كل ما يصدر عنه، أن يتحمل جزاء كل ما تفوه به، وكل ما قام به، لأنه سوف يحاسب ويجازى عليه يوم القيامة، ومن أجل ذلك أرشدنا الله عز وجل إلى أن نراعى التقوى فى كل قول أو فعل، فقال تعالى " **وَلاَتَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** " أى: لا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت فى كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك لأن " **السَّمْعَوَالْبَصَرَوَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** " فحقيق بالعبد الذى يعرف أنه مسؤول عما قاله وفعله، وعما استعمل به جوارحه التى خلقها الله لعبادته، أن يُعِد للسؤال جواباً، وذلك لا يكون إلا باستعمالها، بعبودية الله، وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله تعالى.

ولنعلم أن المشهد يوم القيامة سيكون شديداً عندما نُسئل عن كل أعمالنا، وتشهد علينا أيدينا وألسنتنا وسائر حواسنا عما صدر منا، يقول تعالى: "**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْوَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْوَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ".

ولأجل أن نتقى ذلك الموقف لابد أن نسخر كل شىء فى طاعة الله، ونصلح سائر أعمالنا، ونمحو الغبار من فوق نفوسٍ طال تراكمه عليها، لتظهر لنا النفوس الطاهرة التى لم نرها منذ زمن.



ولنتحمل المسئولية التى كلفنا الله بها، والتى لم يقدر غير الإنسان على حملها، وذلك كما قال تعالى " **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِوَالأَرْضِوَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَاوَأَشْفَقْنَ مِنْهَاوَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ". [الأحزاب: ٧٢].

قال الإمام على ـ كرّم الله وجهه ـ: " من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ".

وأنت امرؤٌ إن تُسْأَلِ الخيرَ تُعطِهِ

جزيلاً وإن تشفع تكن خير شافع

عز الدين الزنجانى.

تجرّأوا وقالوهـا

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُوَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِداًّ﴾ [مريم: ٨٨:٨٩]

بعدما تجرأ الجاحدون المعاندون على زعم أن الله عز وجل اتخذ ولداً، أنزل الله تعالى الآيات الكريمة تقبيحاً لهم وتشنيعاً لقولهم الذين زعموه بهتاناً، كما زعم من قبلهم النصارى حين قالوا " المسيح ابن الله " وزعم اليهود " عزير ابن الله "، وحينما قال المشركين أن الملائكة بنات الله ومعاذ الله وحاشاه أن يكون له ولد

" **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ".

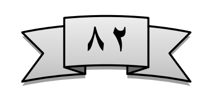
ولكنهم تجرءوا وقالوها ولم يخشوا الله فيما يصدر منهم.

" لقد جئتم شيئاً إدًّا " أى: جئتم شيئاً عظيماً وخيماً، من عظيم أمره أنه" تكاد السموات " ذلك على عظمتها وصلابتها. " يتفطرن منه " أى: من هذا القول الشنيع. " وتنشق الأرض " فتتصدع وتنفطر من عظم الأمر.

" وتخر الجبال هدّاً " وذلك بأن تندكَّ الجبال.

والأمر الذى يجعل كل ذلك يحدث، ويغير موازين الكون، لابد أن يكون أمراً يفوق الحدود، لأنه إفتراء على الله بالكذب، وويل لمن يفترى على الله الكذب " "**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ** ".

فانساقوا وراء نفوسهم المريضة، واتبعوا طريق الغيِّ والضلال، وأنصتوا لكلام إبليس وأعوانه.



ولما تجرءوا وتفوهوا بذلك القول، لم تتحمل مخلوقات الله أن تستمع لهذا الجُرم، فانفطرت السموات وأنشقت الأرض، وخرَّت الجبال هدًّا فأندكت وذلك " أن دعوا للرحمن ولداً " فمن أجل هذه الدعوى القبيحة، تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر، وذلك لأن اتخاذه للولد، يدل على احتياجه، وهو الغنى الحميد.

والولد أيضاً من جنس والده، والله تعالى لا شبيه له، ولا مثيل، ولا سَمِيّ. فمعاذ الله أن يكون له ولد.

فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتصرف فى كونه، فكيف يكون له ولد ؟!!.

قال وهب بن منبَّه . رضى الله عنه .: الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون، إن فتر قائدها صُدَّت عن الطريق، ولم تستقم لسائقها، وإن فتر سائقها حرنت ولم تتبع قائدها، فإذا اجتمع استقامت طَوْعاً أو كَرْهاً..

ما تطلع الشمس إلا عند أوَّ لنا

ولا تغيَّبُ إلا عند أخرانا

عز الدين الزنجانى.

هو يطعمنى ويسقين

﴿وَلاَتَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْوَإِيَّاهُمْ﴾

[الأنعام: ١٥١]

الآية الكريمة تناقش قضية هامة، وكانت موجودة فى الجاهلية، ولا زلنا نجد منها فى وقتنا الحاضر بصور مختلفة، ألا وهى " وأد الإناث " ولعلنا نجد أن الآية قد شملت الذكر والأنثى فجاء التعبير بلفظ عام " أولادكم ". حيث نهى الله عز وجل عن قتل الذكور أو الإناث " من إملاق " أى: بسبب الفقر وضيق الرزق. كما كان ذلك موجوداً فى الجاهلية القاسية الظالمة حيث كان ذلك هو السبب لقتل أولادهم. وإذا كانوا منهيين عن قتلهم فى هذه الحال، وهم أولادهم، فنهيهم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم، من باب أولى، وأحرى " نحن نرزقكم وإياهم " وذلك لإبطال السبب المؤدى للقتل، فقد تكلف الله عز وجل برزق الجميع، فليسوا هم الذين يرزقون أولادهم، بل ولا يرزقون أنفسهم، فليس عليهم بهم ضيق، كما يدعون.

فإن الله قادر على أن يرزقهم كما يرزق النملة السوداء فى الليلة الظلماء، تحت الصخرة الصماء.

ولعل النهى عن قتل الأبناء، لأنه من أعظم الذنب عند الله حيث قال ﷺ: حين سُئل: أى الذنب أعظم عند الله فمنها "أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك".

فما بالنا بعقاب من فعل ذلك، وإن كان عقابهم عظيم عند الله، لذلك السبب، فما بالنا إن كان القتل بغير سبب أو بغير موجب، ولأجل ألا يلاقوا عذاباً أليماً، فقد حذرهم الله ونهاهم عن اقتراف تلك الجريمة الشنعاء.

ومع النهى كان الإخبار بما يطمئن بأن الرزق بيد الله عز وجل " **الذى هو يطعمنى ويسقين** ".

عن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال: " أن تجعل لله نِدًّ أو هو خلقك.. قلت: ثم أيُّ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك.. قلت: ثم أيُّ قال: ثم أن تزانى بحليلة جارك ". ـ متفق عليه ـ

إن الفقيـــه هـــو الفقيـــه بفعلـــه

لـــيس الفقيـــه بنطقـــه ومقالـــه

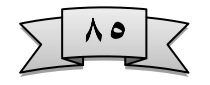
وكـذا الـرئيس هـو الـرئيس بخلقـه

لـــيس الـــرئيس بقومـــه ورجالِـــه

وكـــذا الغـــنى هـــو الغـــنى بحالـــه

لـــيس الغـــنى بملكـــه وبمالـــه..

الإمام الشافعى.



الحــلال أطيـب

﴿وَلاَتَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَاوَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

عَلِمنا وأيقنَّا أن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، فما كان من قول طيب أو فعل طيب فإنه يرفع إليه، وما كان على خلافه فلا يقبله. ولذلك أمرنا الله عز وجل باتباع الخير، واجتناب المعاصى وما يوصلنا إليها.

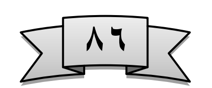
ويعلم الله عز وجل أن الإنسان خلق ضعيفاً، فينساق وراء الشيطان، كما قال الرسول الكريم " إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق " فقد حذرنا الله تعالى عن الإقتراب من صغائر الأمور التى توصلنا إلى ارتكاب الكبائر.

فقال تعالى " **وَلاَتَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ** " وهى الذنوب العظام المستفحشة،وذلك " **مَا ظَهَرَ مِنْهَاوَمَا بَطَنَ** " فالنهى عام وشامل عن كل ما ظهر لنا حرمتهوما خفى منه، أو المتعلق منها بالظاهر، والمتعلق منها بالقلب والباطن.

وإذا تعمقنا فى معنى الآية نجد أن:

النهى عن قربان الفواحش، أبلغ من النهى عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهى عن مقدماتها، ووسائلها الموصلة إليها. كما قيل عن فاحشة الزنا " ولا تقربوا الزنا " ولم يقل " ولا تفعلوا الزنا " لأنه أراد النهى عن اقتراب ما يوصل إلى ارتكاب الفاحشة من وسائل وطرق. لأن الفعل لن يكون إلا إذا كان له مقدمات.

ويتضح لنا مما ذُكر أن الله عز وجل يقول لنا: الحلال أطيب، فمن أراده ووضع قدمه على أول طريقه يسَّرَ الله له كل شىء، وذلل كل شىء له وسخره



لخدمته. وكما قال نبينا " الحلال بين والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات " وعلى المرءِ أن يسلك طريق الحلال لأنه الأفضل على المدى الطويل الدنيوى والأخروى، وليقل: اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمَّن سواك. آمين.

عن عبدالله . رضى الله عنه . قال: قال النبى . صلى الله عليه وسلم .: " **ما من أحد أغيَرُ من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش وما أحدُ أحبُّ إليه المدح من الله** ".رواه البخارى.

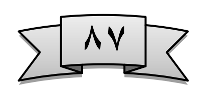
حســـبى بعلمـــى إن نفـــع

الـــــذل إلا فى الطمـــــع

مــــا طـــار طـــير وارتفـــع

إلا كمــــا طـــــار وقـــــع

الإمام الشافعى.



وعند ذاك تُقتَلُ

﴿وَلاَتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْوَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

من الأسس والقواعد التى يقوم عليها الإسلام وتقوم عليها الشريعة "المحافظة على الروح البشرية "، لما فيها من قيام المجتمعات، وإستمرارية الحياة.

ومن أجل المحافظة على الروح البشرية، فقد حَرَّم الله عز وجل كل فعل يؤدى إلى إيذاء أو إزهاق النفس بدون وجه حق.

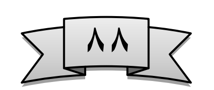
فحرم الله تعالى القتل بكل صوره، وجعل أول ما يقضى فيه يوم القيامة فى الدماء. لِعِظم الأمر، وعظيم الجُرم على مرتكبه.

ولكن لكل قاعدة مستثنيات، لأن التحريم للقتل، كان لقتل النفس بغير حق أما ما استثنى من ذلك فكان كالآتى:

لا يحل دم امرىء مسلم إلا بثلاث: الزانى المحصن، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.

وكذا فقد شُرع القصاص، لأن فيه إحياء للنفوس، وإن كان ظاهره قتل إلا أنه كان للحفاظ على أرواح البشر فلو تُرك القاتل دون عقاب، لانتشر القتل وضاعت حقوق العباد. " ولكم فى القصاص حياة "، فما أعظم قيمة العبد عند ربه، وما أرحم على العبد من خالقه.

فلم يتركنا فى الدنيا دون حماية وأمان، بل وضع من القوانين الإلهية، ما يحافظ به علينا، وعلى أرواحنا، وسخر لنا من يحافظ علينا من ملائكته " وإن عليكم لحافظين " فإن كانت كل تلك الرحمة واللطف من الله عز وجل



علينا،فعلى العبد أن يلتزم قوانين الكون، ولا يكون أداة لتدمير البشر. بل يكون مصلحاً غير مفسد.

" إن الله لا يحب المفسدين ".

عن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

" **أول ما ما يُقْضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء** ".رواه مسلم.

كـم للفجـور ضـحا يـا لا تَعُـدُّوهم

قد دمَّر السكر من فرد ومن عُصَبِ

واليوم أنذرهم بالويل " إِيدْ زُهُمُو

والشــر يثمــر شــرّا غــير مرتَقَــبِ

د. القرضاوى.

ما بالنا ننسى

﴿وَلاَتَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

[الأنعام: ١٥٢]

دائماً ما يحذرنا الله عز وجل من القرب مما يوقعنا فى المخاطر، وما يوجب العقاب، ويرشدنا إلى فعل ما يرضيه عز وجل، ولذا فقد أخبرنا الله تعالى أن هناك ذنوب مهلكات ومنها ما جاء فى الآية الكريمة وهى:

(أكل مال اليتيم) بغير حق، فقال تعالى " **وَلاَتَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ** " بما يوجب الإلتزام بما أمر به الله، وبما نهى عنه، من أكل مال اليتيم، بمعاوضة على وجه المحاباة لأنفسهم، أو أخذ من غر سبب، أو بأى سبل أخرى. " إلا بالتى هى أحسن " أى: إلا بالحال التى تصلح بها أموالهم، وينتفعون بها، فدل هذا على أنه:

" لايجوز قربانها، والتصرف فيها، على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا مصلحة ".

وذلك " حتى يبلغ " اليتيم " أشده " أى. حتى يبلغ ويرشد، فإذا بلغ أشده أعطَى، حينئذ ماله، وتصرف فيه على نظره.

ولم يكن النهى عن أكل مال اليتيم من قبل القرآن وحسب، وإنما جاء النهى عنه فى السنة النبوية أيضاً، حيث أخبر الرسول الكريم بقوله "اجتنبوا السبع الموبقات ثم ذكر منها " وأكل مال اليتيم " والموبقات هى الذنوب المهلكات. فمن اقترب من مال اليتيم فقد أوقع نفسه فيما يهلكه.. ولو نظر المرء إلى ذاك اليتيم بعين الرحمة والرأفة لكان أفضل، ولو عَلِمَ المرء ما سيأخذه

من جزاء، لكان أول من يحافظ على اليتامى وليس مالهم فقط، ولكن الكثير يتناسى كل ذاك، من أجل الحصول والاستيلاء على المال. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عن أبي هريرة رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " **اجتنبوا السبع الموبقات.. وذكر منها.. وأكل مال اليتيم** ".

متفق عليه.

تاب الزمان من الذنوب فوات
واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور بنا فقم يا صاحبى
نستدرك الماضى بنهب الآتى

صفى الدين الحِّلىِّ.

لا تنزلــق

﴿وَأَوْفُوا الكَيْلَوَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّوُسْعَهَا﴾

[الأنعام: ١٥٢]

كثير من الأمور إذا فشت وانتشرت، كانت السبب فى إيقاع العذاب بالجميع، ومن تلك الأمور ما يسبب قطع الرزق بالقوم، وهى: نقص القوم فى المكيال والميزان، فقال تعالى مرشداً العباد إلى ما فيه صلاح حالهم " **وَأَوْفُوا الكَيْلَوَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ** " أى: بالعدل، والوفاء التام فإذا اجتهدتم فى ذلك، فإننا " **لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّوُسْعَهَا** " أى: بقدر ما تَسَعَه، ولا تضيق عنه.

فمن يفرط فيه، ولم يعلمه، فإن الله غفور رحيم.

وبهذه الآية الكريمة استدل الأصوليون، بأن الله لا يكلف أحداً، ما لا يطيق، وعلى من اتقى الله، فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه، فيما سوى ذلك.

أما من لم يحرص على الإيفاء فى الكيل والوزن، فقد أوقع بنفسه ومن اقتدى به فى العذاب، وبقطع الرزق عنهم وذلك كما قال ابن عباس رضى الله عنهما: " ما نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ".

ولذلك، ولتجنب الوقوع فى تلك المهالك أرشدنا الله عز وجل إلى الوفاء بالكيل والميزان.

وعلى العباد وخاصة فى هذا الزمان الذى كثر فيه تطفيف الكيل والميزان بغض النظر عن باقى الموبقات، فعليهم اتباع ما أمر الله به، والسير فى طريق الصواب، وذلك حتى لا تزل قدمهم، وينزلقوا إلى الهاوية.

قال ابن عباس . رضى الله عنهما .: " ما ظهر الغلول فى قوم قط إلا أُلْقِىَ فى قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا فى قوم قط إلا كَثُرَ فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قُطِعَ عنهم الرزق ".

سفح المزاج على محيَّا الكاس

وسعى يطوف بها على الجُلاَّس

ساقٍ.. فلو طرح المِدَامَ لأسكرت

صهباء فاترِ طرفه النَّعَّاس

صفى الدين الحلِّىّ.

لـذوى المـروءة

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواوَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢]

الآية الكريمة فيها من الإرشاد ما به صلاح أمة الإسلام، ويتضح ذلك من قوله تعالى " **وَإِذَا قُلْتُمْ** " أى: قلتم قولاً تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال، وفى ذلك ما يخص إرشاد الحكام وأولوا الأمر، ثم لسائر المسلمين.

وقد خص تعالى العدل بالقول فقال " **وإذا قلتم فاعدلوا** " ولم يقل: وإذا فعلتم فاعدلوا: مع أنَّ ـ الحاجة إلى العدل فى الفعل أَمَسّ، لأن الضرر الناشىء من الجور الفعلى أقوى من الضرر الناشىء من الجور القولى، قلنا: إنما خص العدل بالقول ليعلم وجوب العدل فى الفعل بالطريق الأولى، فإذا كان العدل فى القول مهم فإن العدل فى الفعل أولى وأهم.

وإنما يكون العدل بمراعاة الصدق فيما يحبون، وفيما يكرهون، وذلك بالإنصاف، وعدم الكتمان فيما يلزم بيانه.

وعدم الميل على من يكره بالكلام فيه، بالظلم المحرم، فإن العادل إذا تكلم أعطى كل ذى حق حقه.

وما ذكرناه إنما هو موجه لذوى المروءة ولمن أراد أن ينال تلك المكانة، فالآية الكريمة توجه توجيهاً نافعاً للمسلمين، وتحضهم على التزام العدل فى القول والفعل. فمن التزم تلك الصفات، واتبع تلك الإرشادات، كان من ذوى المروءة، وكانت عاقبة أمره رشداً.

عن شداد بن أَوْسٍ ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم: قال: " الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله ". رواه الترمذى.

قمنـــا بـــنظم حديثـــه مـــع أننـــا

مـا إن نـروم بـه سـوى التشـريف

فزنـا بـه الفـوز العظـيم مـن الـرَّدى

وأمَّنَّـــا فى مغنـــاه كـــل مخـــوف

صفى الدين الحلِّيّ.

تفاديا لجهنـم

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْوَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الأنعام: ١٥٢]

بعد ما أرشدنا الله عز وجل إلى التحلى بالعدل فى كل الأمور، يجىء دور التحذير من عدم الوفاء بالعهد، والعهد الذى أمرنا الله عز وجل بالوفاء بها، هو العهد الذى عاهده عليه العباد، من القيام بحقوقه، والوفاء بها، ومن العهد الذى يقع التعاهد به بين الخلق، فالجميع يجب الوفاء به، ويحرم نقضه والاخلال به.

وتلك الأحكام المذكورة " **ذَلِكُمْوَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** " ما بينه لكم من الأحكام، وتقومون بوصية الله تعالى لكم حق القيام وتعرفون ما فيها من الحكم والأحكام.

ولقد حذَّر الرسول الكريم من نقض العهد وعدم الوفاء به، وذلك تفادياً لكل طريق يؤدى إلى العقاب فى الآخرة، فقال الرسول الكريم " **ومن نكث العهد فمات ناكثاً للعهد جاء يوم القيامة لا حجة له** ".

فالتحذير من نكث العهد واضح فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه من سوء عاقبة.. لصاحبه يوم القيامة.

والوفاء بالعهد لم يكن فيما يخص حقوق الله عز وجل وحسب، وإنما يندرج تحته ما يتعلق بحقوق العباد فيما بينهم.

وفى كل حق يجب الوفاء به، سواء ما يتعلق بحقوق الله، أو ما يتعلق بحقوق العباد، فى كلٍ خير.

قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: " من فارق الجماعة مات مِيتَةً جاهليــة، ومــن نكــث العهــد فمــات ناكثــاً للعهــد جــاءِ يــوم القيامــة لا حُجَّةً له ". رواه الترمذى.

تمتَّع مـن الـدنيا بسـاعتك الـتى

ظفـرت بهـا مـا لم تعقْـك العوائـق

فلا يومك الماضى عليك بعائدٍ

ولا يومـك الآتـى بـه أنـت واثـق

عز الدين الزنجانى.

لا تتحير وانطلق

﴿وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيماً فَـاتَّبِعُوهُوَلاَتَتَّبِعُوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

يشـير الله تبـارك وتعـالى إشـارة واضـحة فى الآيـة الكريمـة إلى أن أحكامـه وتشريعاته، وما بيَّنهُ فى كتابه، ووضحه لعباده، هـو الصراط الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر.

ولأنَّ طريقـه تعـالى كـذلك فهـو يرشـدهم إلى اتباعـه، وينهـاهم عـن اتبـاع غيره. وفى إرشاده تعالى لهم باتباعه خير للعباد حيث فيه الفوز والفلاح وإدراك الآمـال وفى نهـيهم عـن اتبـاع غـيره لأن نهايتـه الإضـلال والخسـران وعنـدما قـال تعالى " **وَلاَتَتَّبِعُوا السُّبُلَ** " أى: الطرق المخالفة لهذا الطريق

ولكن عندما نتساءل عن سبب النهى عن اتباع أى طريق آخر غير طريق الله تعالى ؟؟

نجيب بقوله تعـالى " **فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** " أى: أنه تعالى نهاهم لأنها طرق تضـلهم عنـه وتفـرقهم، يمينـاً وشمـالاً، فـإذا ضـللتم عـن الصراط المسـتقيم، فليس ثَمّ إلا طرق توصل إلى الجحيم عياذاً بالله تعالى.

فمن أراد بنفسه الفلاح فليتبع سبيل الله عز وجل، ومن سولت له نفسه باتباع السبل الأخرى، فلن يجد نفسه إلا فى طريق نهايته جهنم عياذاً بالله

وتتجلى عناية الله تعالى ورحمته حيث أرشد عباده إلى طريقه، ولم يتركهم يتبعون الهوى، يأخذهم إلى أى طريق. والأصل فى العبادة الطاعة، فإذا قال ربى

" وأنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه " فعلى العبد أن يقول سمعاً وطاعة، فينطلق دون إبطاء.

خطَّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطًّا، وخطَّ خطَّيْن عن يمينه وخطَّ خطَّيْن عن يساره ثم وضع يده فى الخطِّ الأوسط فقال: هذا سبيل الله ثم تلا: " **وأنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله** ". رواه مسلم.

دانيـتُ ربعـك والأعـادى شُمَّـتُ

فرجعـتُ عنـه والـورى لى حُسَّـدُ

دُسْ هامـة العليـاء وابـق مُمَلّكـاً

أبـداً يحـلُّ بـك الزمـان ويَعْقِـدُ

صفى الدين الحلِّيّ.

وما خفى كان أعظم

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَاوَمَا بَطَنَوَالإِثْمَوَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]

لقد أحلَّ الله عز وجل لنا الطيبات، وأنكر على من حرم ما أحله تعالى لنا والتوسيع فى تلك الطيبات للعباد، حتى يستعينوا بها على عبادته.

ومع ما أحله الله تعالى فقد حرَّم علينا الفواحش، أى الذنوب الكبار، التى تستقبح وتستفحش، لشناعتها وقبحها.

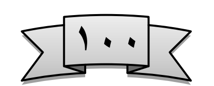
والذنوب منها ما ظهر وما بطن، بمعنى الذنوب التى تتعلق بالبدن وحركات القلوب، كالكبر، والعجب، والرياء، والنفاق، ونحو ذلك، فقد حرمها الله عز وجل، فالصغائر توصل إلى الكبائر، وكلما ارتكب المرء شيئاً من تلك الذنوب، أخذته إلى غيرها، فجاء النهى عن الذنوب والفواحش بكل أنواعها.

وجاء فى سياق ما حرم الله تعالى " **الإِثْمَوَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ** "، وتعنى الذنوب التى تؤثم، وتوجب العقوبة فى حقوق الله.

وكذا البغى على الناس، فى دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم فدخل فى هذه الذنوب، التى تتعلق بحق الله، والتى تتعلق بحق العباد.

وما وُجِدَ الفحش فى شىء إلا شانه، وذلك تصديقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم، الذى بُعث ليتمم مكارم الأخلاق وإننا لو أردنا أن نحصر الذنوب والفواحش التى يرتكبها العباد لما استطعنا، فما خفى كان أعظم وأكثر

ولكننا نجد أن رب العزة جل وعلا نهانا وحرم علينا الفواحش أجمعها، وجمعها فى قوله " **مَا ظَهَرَ مِنْهَاوَمَا بَطَنَ** ".



فما وجدنا فيه شبهه، أدرجناه تحت هذه الطائلة، وصدق رسول الله حيث قال " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ".

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه** ". رواه الترمذى.

عـذْلُ العـواذل فى هـواك مضـيَّعُ

هـبْ أنهـم عـذلوا فمـن ذا يسـمعُ

عـذلوا ولـو عـدلوا بأربـاب الهـوى

مـا حرَّكـوا مـا لـيس فيـه مطمـع

صفى الدين الحلِّىِّ.

لا تكذب على مولاك

﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناًوَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]

علمنا أن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به. وتوضح الآية الكريمة حال من أشرك مع الله فى عبادته أحداً من الخلق، احتجاجاً بأن الله جل وعلا لم ينزل الحجة والبرهان على وحدانيته، فقد كذبوا على الله، لأنه تعالى أنزل الحجة والبرهان على وحدانيته، ولكنهم تجاهلوها حتى يبرروا ما يفعلون.

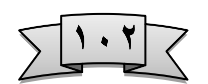
وليس ذلك وحسب وإنما يقولون على الله ما لا يعلمون فى أسمائه وصفاته وأفعاله، وشرعه.

فكل هذا قد حرمه الله، ونهى العباد عن الخوض فيها، لما فيها من المفاسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجرؤ على الله، والإستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه.

ومن فعل ذلك فقد كذب على الله عز وجل، ولا يعلم مدى عقوبة من كذب على الله إلا الله جل وعلا. ولم يكن النهى على الكذب على الله فقط وإنما يندرج تحته الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخبر الرسول الكريم بأن من كذب عليه متعمداً سوف يتبوأ مقعده فى النار.

فما بال من كذب على الخالق العظيم.

فمن أراد لنفسه النجاة فى دنياه وأخراه فليكن صادقاً مع الله ورسوله، مصدقاً لما أنزله الله تعالى وجاء به رسوله الكريم، وأخيراً وليس آخراً:



"لا تكذب على مولاك"

عن عبدالله بن عمرو . رضى الله عنهما . أن النبى . صلى الله عليه وسلم قال: " **بلِّغوا عنى ولو آية، وحدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عَلَيَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** ". متفق عليه.

لا شـىء إلا الله فـارفع ظنـك

يكفيـك ربُّ النـاس مـا أهمَّـك

الإمام على.

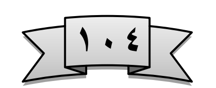
نِعْمَ أجر العاملين

﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَاوَعْدَهُوَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]

جلَّ ربى فى علاه فإذا وعد صدق وعده، ويشهد بذلك أهل الجنة عند دخولهم فيها، واستقرارهم، حامدين الله على ما أعطاهم، ومنَّ عليهم به. " **وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَاوَعْدَهُ** " حيث وعدنا بالجنة على ألسنة الرسل، وذلك إن آمنوا وأصلحوا، فوفَّ لهم بما وعدهم به، وأوْرَثهم ومنَّ عليهم بالجنة، ينزلون منها أى مكان شاؤوه، ويأخذون من أى نعيم أرادوه، فليس ممنوعاً عنهم شىء.

وتلك النِعَم العظيمة التى وعدهم الله بها وصدقهم وعده فيها، إنما كانت جزاء العمل الذى عملوه فى دنياهم، ولم يك ذلك الجزاء وحسب، وإنما أخبر الرسول الكريم أنهم سوف يرون ربهم كما يرون القمر فى السماء، وكذا للأمة جمعاء ولكن لمن عمل صالحاً وأحسن فى دنياه، فيحسن الله تعالى إليه " **وما جزاء الإحسان إلا الإحسان** ".

وإن دلَّ ذلك على شىء فإنما يدل على الإجتهاد فى الطاعة وفعل الخيرات، وذلك حتى ننال هذا الجزاء العظيم " فنعم أجر العاملين " الذين اجتهدوا فى طاعة ربهم، فى زمن قليل منطقع، فنالوا بذلك خيراً عظيماً باقياً ومستمراً.وهذه الدار التى تستحق المدح على الحقيقة، التى يكرم الله فيها خواص خلقه. فرضيها لهم نزلاً، وأسدل عليهم رحمته وكرامته التى ببعضها يفرح الحزين، ويزول الكدر، ويتم الصفاء.



فحقاً " **فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ** ". صدق الله العظيم.

نظر النبى . صلى الله عليه وسلم . إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم سترون ربكم كما تروْن هذا القمر لا تُضَامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوعِ الشمس، وصلاة قبل غروبالشمس فافعلوا ".

متفق عليه.

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسير

وكــل أمــر لــه وقــت وتــدبير

وللمهــيمن فى حالاتنــا نظــر

وفـــوق تقـــديرنا لله تقـــديرُ

الإمام على.

أولاً وآخراً

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]

الحديث هنا عن أهل الجنة وقدر النعيم الذى نالوه، وبيان عبادتهم لله تعالى فى الجنة، فإن عبادتهم فيها، أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد لله، فالتكاليف سقطت عنهم فى دار الجزاء، ولم يبق لهم إلا أكمل اللذات، ألا وهو ذكر الله الذى تطمئن به النفوس وتفرح به الأرواح، وأما تحيتهم فيما بينهم عند التلاقى والتزاور هو السلام الخالى من اللغو والإثم، الموصوف بأنه " سلام ".

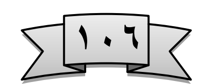
وقيل: إنهم إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب قالوا: سبحانك اللهم، فأحضر لهم فى الحال.

فإذا فرغوا قالوا: " الحمد لله رب العالمين ". وتلك آخر دعواهم.

ولكن إن قيل: أن أقوال أهل الجنة وأحوالهم لا آخر لها، لأن الجنة دار الخلود ؟؟

قلنا: الآية تعنى: وآخر دعائهم فى مجلس دعاء أو ذكر أو تسبيح.

فإن أهل الجنة يسبحون ويذكرون للتنعم والتلذذ بالذكر ومما ذكر نجد أنه لولا هدى الله عز وجل على هؤلاء المؤمنين لما تنعموا كل هذا النعيم فى الجنة، وقد اعترفوا بذلك وقالوا " **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَاوَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ** ".[الأعراف: ٤٣].



فكان الحق أن يكون آخر دعواهم " **الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ** ".

سأمضى على شرطى وبالله أكتفِى

وما خاب ذو جدٍّ إذا هو حسبلا

الشاطبى.

(ثبت المراجع)

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	صحيح البخارى وصحيح مسلم	البخارى ومسلم
٣	مختارات من كتب التفاسير	لجمع من العلماء
٤	مختارات من الأدب والشعر	لجمع من الشعراء


الحمد لله رب العالمين